غُلِبَتِ الرُّومُ

واقع الإعجاز ...وحقيقة العجز



دراسة نقدية عن نبؤة سورة الروم تاريخيا وجغرافيا توضح صـــدق تنبؤ القرآن الكريم بغلبة الروم في بضع سنين, ودقة وصف القرآن لمناطق المعارك بأنها " أدنى الأرض", ورد الاعتراضات المثارة حولها.

بقلم/ رشيد المليكي

الإهداء

<u>إلى الثلاثة الكبار الذين كان لهم فضل خروج هذه الدراسة للنور:</u>

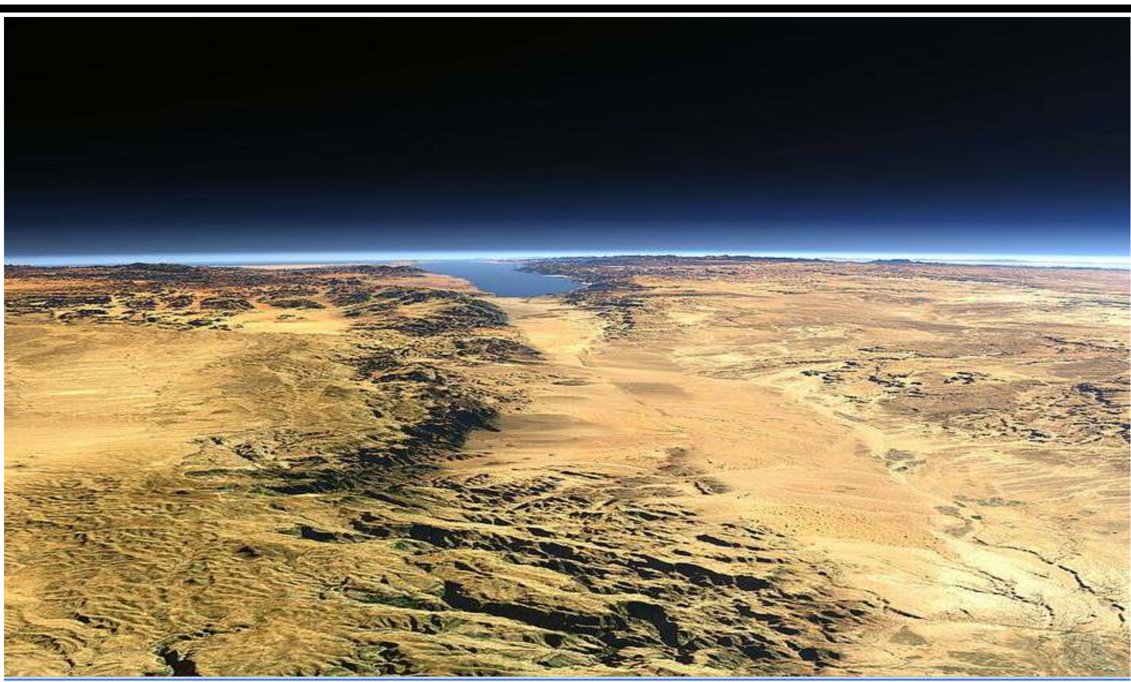
الأستاذ العزيز/ ياسر جبر

والعضو الحبيب/ الساجد

والباحث المعروف/ التاعب

<u>إليهم والى جميع أعضاء منتدى</u>

حراس العقيدة



"غُلِبَتِ الرُّومُ .فِي أَدْنَى الْأَرْضِ"

المقدمة

ما أسهل الهدم... لكن البناء يحتاج للوقت والجهد. وما أسهل الخلط...لكن الترتيب يحتاج للعقل والصبر. لكن ما الذي يدفع الإنسان السويّ إلى تفضيل العمل الشاق على العمل السهل؟ , إنها الرغبة في حب الحقيقة والجمال.

فعند اكتمال البناء وانتصاب الثمرة واقفة أمام عيني البنّاء , ينسى تعبه كله , ويرفع يديه للسماء شاكرا وشاعرا بالنعمة.

إلقاء الشبهات فن سهل يجيده الكسالى , وينشره الأتباع الفارغون. وفرق كبير بين النقد , وبين الاعتراضات الإعلامية. فالنقد يسبقه الفكر , و يكسوه الحياد , ويلجمه التواضع , ويرضخ للحقيقة.

لكن الاعتراض الفوضوي لا مبادئ له , تسبقه الغاية والهدف , و يتمنطق بالسخرية على الآخر , ويظن نفسه عاليا بغروره , و لا يعرف حقيقةً سوى نفسه.

من حق كل دين أن يدافع عن نفسه . ومن حق كل فكرة أن تترك لها فرصة التوضيح عن مصداقيتها. ومن حق كل فرد أن يقبل أو أن يرفض , أن يؤمن أو أن يكفر. أن ينتقد أو أن يوافق , ولكن بعقل..و فكر.. وتواضع.

في ضوء هذه المسلمات والضوابط الإنسانية نناقش فكرتنا اليوم. وموضوعنا طالما كان حديثا تكرر مرارا في الكثير من المنتديات والمدونات والنقاشات.

ومثلما نكره الإيمان الأعمى , نكره الاعتراض الفارغ , والخداع في المعلومة. نؤمن أن الحقيقة قد خلقها الله لكل الناس , فإما أن نقبلها , أو نهرب منها. لكننا لا نفرضها على أحد من الناس , بل نقدمها واضحة , ونموت من أجلها.

رشيد المليكي

اليمن – تعز

2010/09/03

الموافق: يوم الجمعة غرة الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك 1431هـ

منهجية الاعتراض...منهجية الخلط

سوف نلاحظ سويا أن منهجية الاعتراض على الإعجاز القرآني في جميع الاعتراضات تقريبا, هي منهجية واحدة اتخذها المعترضون , تعتمد أسلوبا واحدا فقط , هو الخلط ... خلط الحقائق: خلط الأحداث , والأوقات , والأخبار , والمناطق.

وحتى لا نُتهم بالحكم المسبق على الأشياء , نترك ملاحظة ذلك للقارئ الكريم. لكن نقول ذلك تنبيها للجميع أن منهجية الخلط لا ترقى لمستوى المنهج العلمي. ويمكن نقضها بسهولة ترتيب الحقائق ترتيبا سليما , وتنهار الاعتراضات بالنظام كما بنيت بالفوضى.

* ملخص بالاعتراضات محل الدراسة

الاعتراض الأول: **القدس منطقة المعركة ليست أخفض منطقة في العالم.**

الاعتراض الثاني: **البحر الميت ليس أخفض منطقة في العالم.**

الاعتراض الثالث: **"أدنى الأرض" تعني أقرب الأرض حسب كتب التفسير.**

الاعتراض الرابع: **عدم استخدام القرآن لكلمة " أخفض" بشكل واضح.**

الاعتراض الخامس: **وجود قراءتين في "غلبت الروم" تنفي حدوث الإعجاز.**

الاعتراض السادس: **عدم تحقق الفترة الزمنية التي أشار إليها القرآن.**

الاعتراض السابع: **الظروف كانت تشير إلى انتصار الروم فلا يُعد إعجازا.**

تمهيد بسيط

أرض كنعان : هي الاسم القديم لأرض فلسطين , هذا الاسم لم يطلق عبثا , بل اشتق من الفعل السامي " كنع" حيث يعني " خفض" . لكن حديثنا عن زمان مختلف , موضوعنا زمنه القرن السابع الميلادي في منطقة الشرق الأوسط بالتحديد حيث كانت موازين القوى مختلفة حينها بالطبع.

سيطرت الإمبراطورية الفارسية (الساسانية Sassanid) على إيران وبلاد الرافدين وأجزاء أخرى. بينما سيطر الروم البيزنطيون (Byzantine) على مناطق في الجنوب الشرقي لأوربا وأجزاء من آسيا. لكن التقت الإمبراطوريتين العظيمتين على حدود برية في منطقة الشام , التي كانت منقسمة حينها إلى مناطق نفوذ تتبع أحدهما.

ويمكننا أن نرى خريطة الحدود للإمبراطورية الرومانية بين أعوام (533-600)م





الخريطة من الأطلس التاريخي Historical Atlas by William R. Shepherd, 1923/1926

ويظهر من الخريطة بوضوح أن مناطق الشام (سوريا – فلسطين – لبنان) واقعة تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية حتى العام 600م , وعلى حدود الإمبراطورية الساسانية (Sassanid) , و من أجل كسب المزيد من النفوذ , وقعت العديد من الحروب بين الإمبراطوريتين, راح ضحيتها الآف من الجنود.

في بداية القرن السابع الميلادي تعاظمت قوة الإمبراطورية الفارسية الساسانية , وتطلعت إلى مد يدها وتوسيع نفوذها, فكان أن قامت الحرب. إنها حرب الإمبراطوريات , وتوابعها أيضا. فاستغل ملك الفرس اغتيال صديقه ملك الروم للقيام بحملة واسعة ضد الروم.

شن الفرس عدة معارك على حدود الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) , وسرعان ما سقطت العديد من المناطق. شكلت الهزيمة مفاجأة للمنطقة بأسرها. فالإمبراطورية الرومانية كانت ذات سمعة جبارة , فكيف هزمت؟!!

لا يهم هنا التوغل في التحليل التاريخي , عن أسباب الهزيمة , بقدر ما يهم الحدث المتعلق بالنبوءة القرآنية حول تلك الأحداث. وصل خبر الهزيمة إلى مكة المشغولة حينها بدعوة ذات طابع جديد عليها. رجل من أشرفهم يدعي أن خبر السماء يأتيه , فلم يشأ الوثنيون حينها تفويت الفرصة على الإطلاق.

كانت المقارنة في عقول الوثنيين بسيطة , أنت يا من تدعي نزول أخبار السماء إليك , ها قد تمت هزيمة نكرة على أيدي وثنيين مثلنا على قوم يدعون أن لديهم كتابا من السماء مثل دعواك.

ما كان كفار قريش ليعبدوا نار الفرس في يوم من الأيام , وما كان المسلمون ليتساووا مع عُبّاد المسيح يوما. لكن المقارنة تمت لهدف نفسي , كان القوم يتلهفون لإثارة المسلمين ليقول محمد شيئا , فيقع في خطأ بسيط , وحينها لن يرحموه أبدا.

<u>لكن , نزلت الآيات الكريمة من سورة الروم ففجرت مفاجأة أخرى:</u>

﴿ الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) ﴾

ما هذا ؟؟!!. وجد وثنيو مكة بغيتهم , المنطقة بأسرها تتحدث عن أخبار غلبة الفرس , والمناطق تسقط الواحدة تلو الأخرى. ومحمد بكل هدوء يدعي أن ذلك لن يستمر , وأنه بمجرد انقضاء بضع من السنين سيبدأ الروم بتحقيق الغلبة , فرصة نادرة.

فكان أن حدث الرهان إذا , لم يكن لدى كفار قريش شك بتحقيق النصر , وإلا فلن يدخلوا في "رهان خاسر". ولم يكن المؤمنون يملكون سوى "قوة الإيمان" بتحقيق وعد نزل إلى محمد من السماء.

يقول الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى:

> لو أن هذا القرآن من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فما الذى يجعله يدخل فى قضية كهذه ؟ لم يطلب أحد منه أن يدخل فيها . . وكيف يغامر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فى كلام متعبد بتلاوته إلى يوم القيامة لايتغير ولايتبدل . . بإعلان نتيجة معركة ستحدث بعد سنين . . وماذا كان يمكن أن يحدث لقضية الدين كله لو أن الحرب حدثت وانتصر الفرس مرة أخرى . . أو أن الحرب لم تحدث وتوصل الطرفان إلى صلح ؟ إنها كانت ستضيع قضية الدين كله . . ولكن لأن الله سبحانه وتعالى هو القائل وهو الفاعل جاءت هذه الآية كمعجزة لغير العرب وقت نزول القرآن . . وحدثت المعركة فعلا وانتصر فيا الروم كما أخبر القرآن الكريم .

تساقطت مدن الرومان واحدة تلو الأخرى , سقطت الشام , وسقطت فلسطين , , وسقطت مصر, واقترب الفرس من العاصمة البيزنطية فعلا , ولكن وبعد بضع سنين , بدأت الأمور تتغير بشكل غريب جدا , وبدأ الحاكم الجديد لبيزنطة (هرقل) بتحقيق أول بشائر الغلبة الرومانية في منطقة آسيا الصغرى (تركيا حاليا). ثم توالت بعدها الانتصارات الرومانية ....وخسر الوثنيون الرهان.

هذه هي كل الحكاية , وبكل بساطة. وقبل بها الجميع حينها , مسلمون ووثنيون. ولم يبدي أحد اعتراضه على كلمة واحدة من نبوءة القرآن الكريم. فما الذي حدث اليوم؟؟!!

اليوم ... نشكر الله تعالى , أصبح العلم يتقدم بصورة مثيرة للغاية , ومع اكتشاف العديد من الحقائق العلمية في مختلف المجالات , اكتشف الإنسان بعض تلك الحقائق , فكان منها أن (أدنى= أخفض= أسفل) منطقة على سطح الأرض تقع شمال البحر الميت. فكان أن قام المسلمون بتذكير الناس أن القرآن الكريم حين تحدث عن تلك المعارك أشار إلى منطقة المعارك بالقول (أدنى الأرض) , وأن كلمة (أدنى) تعني أيضا (أخفض = أسفل) , مما يدل على معجزة أخرى للآية من ناحية أخرى. لكن هذا التفسير (للأسف) لم يعجب الكثير ممن يقف في الجهة الأخرى , الجهة التي هزمت في الماضي . وما فشل فيه " سادة " الأمس , يحاول تحقيقه "سادة " اليوم. فكان أن قدمت " اعتراضات " جديدة.

قبل أن نتوغل في كمية من المعلومات والأحداث قد يضيع معها القارئ الكريم , أود هنا أن استخدم أسلوبا بسيطا للغاية , وهو استعراض تلك الاعتراضات واحدا بعد آخر , ثم الجواب عليها. وبذلك أتمنى أن نصل إلى الحق.

الاعتراضات هنا سنقدمها على لسان الجانب المسيحي , وهو الأمر الغريب حقا , إذ أن الآية حينما نزلت , نزلت لتأييدهم ضد الوثنين من الفرس , وتحمل لهم " الأخبار السارة ". لكن يبدو أن مسيحي اليوم ليسوا كمسيحي الماضي. سوف يشاركهم أيضا في تقديم الاعتراضات الجانب الملحد , فلم يخلو التاريخ يوما من وثنيين , والفرق بينهما أن وثنيو الأمس كانوا يقدسون " الحجارة " فقط , أما وثنيوا اليوم فيعترفون بـ " الطبيعة كلها " كخالق وموجد.

==

==

الاعتراض الأول:

أيها المسلمون ...المعركة بين الفرس والروم , والتي انتصر فيها الفرس على الروم , وقعت بحسب " كل المراجع " التاريخية في القدس , والقدس ليست أخفض منطقة في العالم , بل هي " يا للمفاجأة " ترتفع عن سطح البحر أكثر من 700م .

الجواب والتوضيح

أولا: هناك ملاحظة تجعلني أضحك بشكل دائم عند قراءة هذا الاعتراض , وهي كلمة " المفاجأة " , ففي كل مرة أدخل منتدى مسيحي أجد أمامي هذه الكلمة , في نفس سطر هذا الاعتراض بالذات , وكنت في البداية أتعجب , ولكن يبدوا أن الجميع ينسخ ويلصق من الكاتب الأول للاعتراض . هذا يعني أن أحد منهم لم يكلف نفسه عناء قراءة الردود من جانب المسلمين على تلك الاعتراضات, أو حتى التدقيق في صحة الموضوع.

ثانيا: من الواضح أن هناك خلط بين معركة القدس التي انتهت بانتصار الفرس, وسلب الصليب الأكبر الذي يفترض المسيحيون أن المسيح – عليه السلام- صلب عليه , وبين المعارك التي تتحدث عنها الآيات الكريمة في بداية سورة الروم.

وحتى نزيل هذا الخلط لابد من الرجوع إلى الوراء قليلا. إلى قبل نزول الآيات بقليل...

زحفت جيوش الإمبراطورية الفارسية على مناطق الشام الخاضعة للروم البيزنطيين . فاتجهوا إلى مدن الشام الكبرى فسقطت في أيديهم , عندها كان من الطبيعي إكمال السيطرة على المناطق السورية المجاورة . ثم بعد ذلك اتجهت أنظارهم إلى أعظم المدن الدينية (القدس JEURSALEM) , ولذلك كان عليهم عبور الطريق إليها , فعبروا إليها.

لكن لم يكن عبور الفرس سهلا , أو بدون ثمن . فالحاميات والقلاع الرومانية متناثرة في مختلف أنحاء مناطق الشام.

من هذه المناطق التي كان من الضروري العبور عليها في الطريق إلى(القدس) منطقة تدعى (بصرى الشام) وكذلك (أذرعات) وتسمى (درعا) حاليا , وهما منطقتان في ريف الشام . فكان لابد للجيش الفارسي المغرور بانتصاراته من خوض بعض المعارك فيها.

وطبعا فقد ربح الفرس جميع المعارك أثناء طريقهم إلى المدينة المقدسة. وتمت هزيمة الحاميات والقلاع الرومانية , وجميع وحدات الجيش الروماني الحامي لتلك المناطق.

يمكننا هنا مشاهدة خريطة واضحة تحدد منطقتي (بصرى الشام ودرعا) بوضوح , وتبين الطريق الطبيعي بعدها للعبور إلى القدس التي كانت هدفا هاما للجيش الفارسي:



المصدر: الموسوعة العربية العالمية- خريطة الأردن.

بعد تلك المعارك التي حدثت في منطقتي (بصرى الشام ودرعا) وهزيمة الروم فيها , وصل الخبر إلى مكة. طبعا في ذلك الوقت يمكن أن يستغرق وصول الخبر عدة أشهر (ثلاثة أشهر تقريبا وهي نفس مدة رحلة قريش الشهيرة في الصيف إلى الشام تقريبا):

1- " قال عطاء الخراساني: حدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلاً يدعى قطمة بجيش من الروم, وبعث كسرى شهريراز فالتقيا بأذرعات وبصرى, وهي أدنى الشام إليكم, فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس, ففرحت بذلك كفار قريش, وكرهه المسلمون" – تفسير ابن كثير- رحمه الله تعالى.

2- " {غلبت الروم } غلبتها فارس { في أدنى الأرض } أدنى أرض الشام من أرض العرب وفارس وهي أذرعات وعسكر { وهم } والروم { من بعد غلبهم} غلبة فارس إياهم {سيغلبون} فارس"– الوجيز للواحدي رحمه الله تعالى.

3- "فبعث كسرى جيشاً إلى الروم واستعمل عليها رجلاً يقال له شهريراز، وبعث قيصر جيشاً إلى فارس واستعمل عليهم رجلاً يدعى يحفس، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة"- تفسير البغوي رحمه الله تعالى.

4- " روى أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات و بصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى وأهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهرن عليكم " – تفسير أبو السعود رحمه الله تعالى.

5- " احتربت فارس والروم بين أدرعات و بصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى أبرويز فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وسمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم و لنظهرهن نحن عليكم فنزلت"- تفسير النسفي رحمه الله تعالى .

6- "وقالوا معنى الآية انه بلغ أهل مكة أن الملك كسرى هزم جيش الروم بأذرعات وهى أدنى الأرض إلى مكة"- تفسير الثعالبي رحمه الله تعالى.

7- " والمعنى : غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام" – الكشاف للزمخشري رحمه الله تعالى.

ويظهر مما سبق أن الآيات الكريمة نزلت بفترة بعد حدوث المعارك في مناطق ريف الشام وحدود الأردن, بعد معارك في منطقتي (بصرى وأذر عات) وما بعدهما تحديدا , ويظهر بوضوح أن خط سير الجيش الفارسي يمر بعد تلك المناطق بالمناطق شمال البحر الميت تماما حيث الطريق إلى القدس.

ويلاحظ كذلك عدم قدرة المفسرين على تحديد منطقة بعينها جرت فيها المعارك , فجملة " في أدنى الأرض " لا تعني مدينة أو حصن معروف , بل هي منطقة فيها العديد من القرى والحصون والتجمعات المتناثرة.

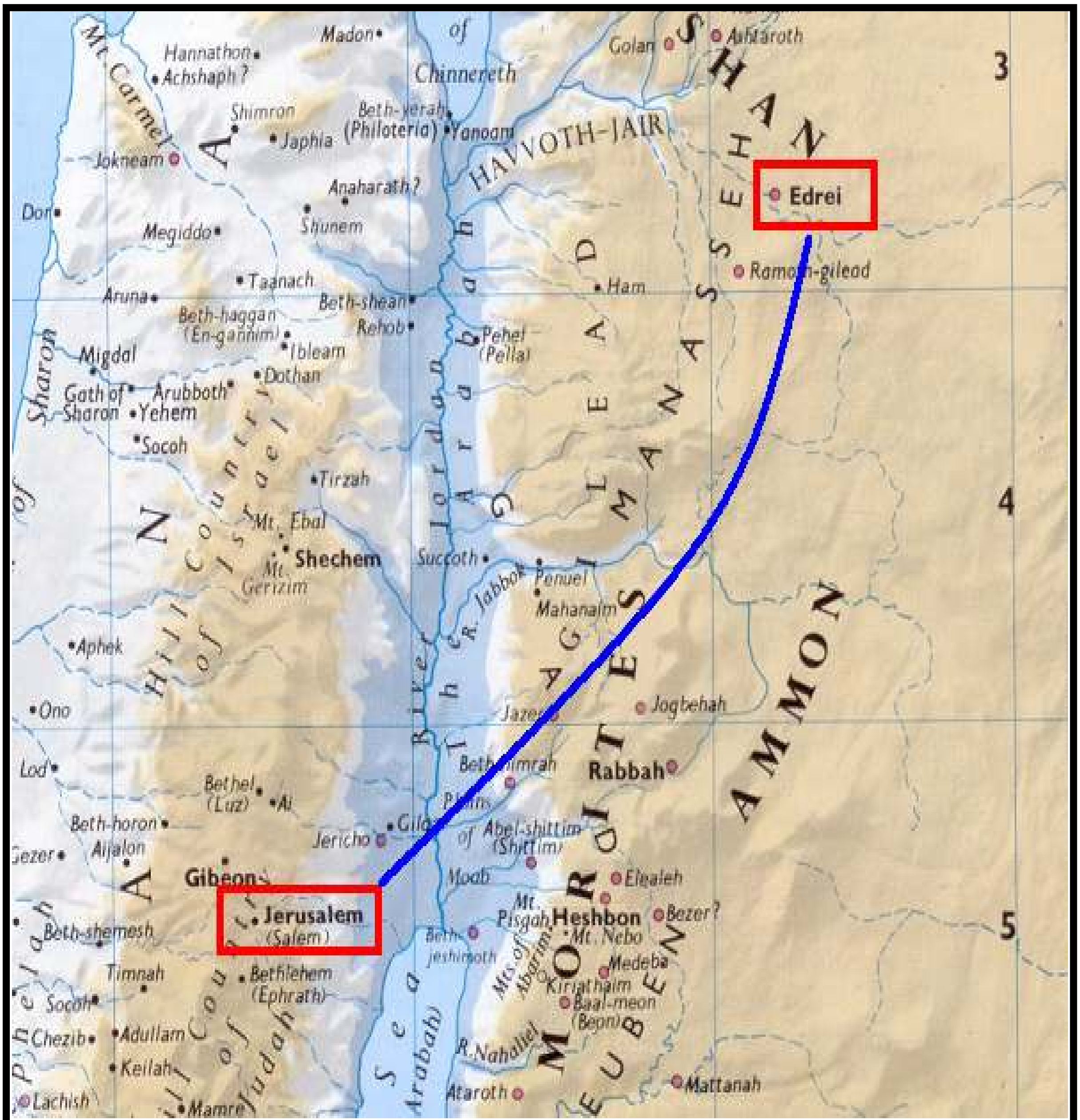
فلا حديث عن معركة القدس بعد , لا توجد إشارة إلى أن الخبر وصل إلى مكة بعد معركة القدس الكبرى , أو سلب الصليب الأكبر , ولكن كان بعد سقوط ريف دمشق , وأثناء سير الجيش الفارسي إلى القدس , كان من اللازم المرور من المناطق الشمالية لساحل البحر الميت (كما يظهر بوضوح من الخريطة) , فبعد سقوط الريف الدمشقي في بصرى وأذرعات على حدود الأردن بدأ الجيش الفارسي زحفه نحو القدس . فحدث شيئين مترابطين :

أولا: واصل الفرس انتصاراتهم في طريقهم إلى القدس , وثانيا : لزم نقل الخبر إلى مكة فترة من الوقت , من ريف الشام إلى مكة في ذلك العصر القديم بوسائله القديمة

إذا وبوضوح شديد فالآيات الكريمة نزلت بعد الهزيمة في بصرى الشام على حدود الأردن بفترة نسبية , أثناء سير الجيش الفارسي نحو القدس , وقبل معركة القدس , وليس كما يحلو لمن يريد خلط الحقائق .

علينا أن لا نخلط بين معرفة المفسرين رحمهم الله تعالى بمعركة القدس , فهم قد ظهروا في عصر متأخر بعد نزول الآيات , وبين الحديث الذي دار في مكة بين الوثنيين والمسلمين فور بعد نزول الآيات. فلا نظن أن حديث المفسرين عن معركة القدس ومحاولة ربطة الأحداث بها يعني نزول الآيات بعد معركة القدس. بل نزلت الآيات قبل معركة القدس بكل وضوح.

والخرائط تظهر بوضوح خط سير الجيش الفارسي بعد معارك بصرى الشام:



المصدر: ملحق برنامج (Davar3) العالمي – Zaine Ridling , PhD, Access Foundation. Chicago, US

إن الوقت الذي قضاه الجيش الفارسي في معاركه بعد سقوط منطقة بصرى الشام وأدرعا وصولا إلى القدس , يقارب الوقت الذي أخذه زمن نقل الخبر إلى مكة , ثم سخرية المشركين من هزيمة أهل الكتاب وفرحهم بذلك , ثم نزول الآيات بالخبر والتحدي المعجز. وبهذا لا حديث في الآيات الكريمة عن معركة القدس القادمة. فالآيات تتحدث عن معارك بعد سقوط ريف دمشق (بصرى وأذرعات) على حدود الأردن , وقبل معركة القدس الكبرى. إن سقوط الشام بعاصمته وريفه بيد الفرس كان كافيا للإعلان في المنطقة عن بدأ غلبة للفرس على الروم , خاصة وقد سقطت إنطاكية المدينة العظمى قبلا.

ويمكننا أن نستأنس بما جاء في موسوعة (ويكيبيديا الحرة) عن تلك الحروب

" وفي عام 613 وصلت جيوشهم إلى دمشق. وانتصر الفرس في عدة معارك منها معركة حاسمة في سهل حوران بين مدينتي بصرى وأذرعات (درعا اليوم).و أخرى عند البحر الميت ".

فالمسألة إذا بعيدا عن الخلط واضحة كل الوضوح .

لكن قد يقول معترض آخر: لكن لا حديث في التاريخ عن معارك ذات أهمية في تلك المناطق , بل التاريخ يذكر بوضوح معركة كبرى في القدس.

والجواب عن ذلك: أنه من المنطقي أن يخوض الجيش الفارسي بعض المعارك الهامة في طريقه إلى القدس , والتي تهيئ للنصر في معركة القدس. فلا يعقل مثلا أن الجيش الفارسي عبر مدينة مثل أريحا شمال البحر الميت بدون قتال. ولا يعقل أن الجيش الرومي لم يكن لدية جنود في أريحا وغيرها من المدن أمام الساحل الشمالي للبحر الميت. ولا يعقل على الإطلاق أن لا يوجد أي تجمعات سكانية كثيفة على طول نهر الأردن الشهير الذي يمر أمام الساحل الشمالي للبحر الميت ويصب فيه. كما انه من الطبيعي جدا عدم حدوث معركة داخل مدينة القدس ذاتها , بل وقعت خارجها بالطبع.

ثانيا , أن القرآن الكريم إنما تحدث عن (غلبة) وليس عن (نصر) , هذا يتوافق مع المدلول القرآني لكلمة (غلبة) في قوله تعالى (غُلِبَتِ الرُّومُ) .

فالغلبة وهي الكلمة التي استخدمها القرآن الكريم تأتي لتدل على (تفوق في معركة عادية / مجموعة معارك هامة ضمن صراع كبير هدفه النصر) , ولم يستخدم القرآن الكريم كلمة النصر في الآية الكريمة للدلالة على ذلك , وهذا يجب أن يدرك سلفا , قبل الدخول في نقاش القضية, فمن العلوم أن الطريق إلى تصحيح المفاهيم يتم عبر تصحيح معاني الألفاظ كما قال كونفوشيوس .

ولذلك وجب التمعن في الفروق بين هاتين اللفظتين (النصر / الغلبة), واستخدامها كما ورد في القرآن الكريم , حتى لا تختلط المفاهيم . فهذا سيعيننا على تحديد دقيق لمعنى النبوة القرآنية.

لذلك فهذه بعض الفوارق اللغوية بين الكلمتين كما استخدمها القرآن الكريم:

	المقارنة	الغلبة	النصر	الشواهد اللغوية	الغرض البلاغي
1	النسبة	تنسب في العادة للبشر , لصغرها الحربي مقارنة مع النصر, فعواملها محدودة	ينسب في العادة لله سبحانه , فالنصر له العديد من العوامل التي لا يستطيع البشر امتلاكها بالكامل.	1-إ (فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)- المائدة 56: 2- (إن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ) – آل عمران : 160 3- {وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ }- الصافات: 116	بما أن النصر أعظم من الغلبة , فلا يليق أن ينسب الشيء الأدنى للشخص العظيم. وهو القادر على الفعل العظيم. يقال أن شخصا قال لرجل: "جئتك في حويجة ". فقال له :"أقصد بها رويجل". فتأمل.
2	الدعاء والطلب	لا تطلب الغلبة من الأصدقاء , بل تطلب النصرة وهي طلب بذل كل مساعدة ممكنة طول زمن الصراع وحتى تحقيق هدف النصر.	يطلب أولا وفي الأساس من الله سبحانه , فهو القادر على تحقيق النصر , وتهيئة الظروف والعوامل لتحقيقه.	1- (وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) – الأنفال : 72 2- (أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) - البقرة : 286 3- (ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) - آل عمران : 147	النصر غير الغلبة , فالغلبة لا تعني بالضرورة تحقيق النصر , ولذلك كان من الحكمة طلب النصرة من الآخرين , وليس الغلبة. كذلك يجب أن نسأل الله سبحانه النصر وليس الغلبة , فقد يكون النصر في عدم الغلبة.
3	العوامل والظروف	في العادة تكون الغلبة محدودة العوامل , بشرية الطابع. محدودة النتائج. وعموما فهي لا تشمل معجزات وليست هدفا استراتيجيا . لكنها عاملا هاما .	النصر يشمل كل معاني الغلبة , والتحول النوعي الكبير في المعارك, ربما دون تدخل بشري كالمعجزات. النصر هو الهدف الاستراتيجي .	1- {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }آل عمران123 2- (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ)- الأنبياء77 3-{ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ }الأنفال: 65	النصر هو نتيجة معركة هامة , ومن الطبيعي أنه كان بسبب عوامل مؤثرة , وانتصارات هامة هنا وهناك (غلبة) , هذه الغلبة قد تكون هامة جدا , برغم عدم الالتفات إليها , لكنها مؤثرة تماما في تحقيق النصر. النصر حسم لموضوع كبير , والغلبة تهيئة هامة سابقة لهذا النصر.
4	الناحية العددية	تطلق الغلبة على القلة النسبية (في المعارك) , وهذه القلة قد تكون أفرادا أو مجموعات خاصة من الجيش.	يطلق النصر على الكثرة النسبية (في المعارك) , الحشد العسكري الكبير استعدادا للمعارك الكبرى والحاسمة	1- (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ) – البقرة : 249. 2- {لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ }- الشعراء: 40 3- (وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ) الأنفال66 4- {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ }- النصر1	بما أن الغلبة أقل قيمة من النصر فهي تتحقق بالأقل في العادة , ولا يستدعي وجود معظم الجيش وتسخير جميع الإمكانيات المتاحة. بالمقابل فالنصر أكثر قيمة وأهمية ولذلك فهو يحتاج إلى حشد معظم الجهود العسكرية
5	الهدف	الغلبة مرحلية , وليست إستراتيجية. الغلبة فوز في إطار معركة كبرى , فهي أحد عوامل الوصول السريع إلى النصر, فهي مؤشر للنصر.	النصر هو الهدف الكبير والنهائي للمعارك والصراعات. فهو هدف استراتيجي كبير , فهو واضح ومتميز.	1- {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا }يوسف110 2- {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ }النصر1 3- { قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ }- المائدة: 23	هنا تكرار لما سبق بيانه من أن الغلبة أقل قيمة من النصر , فالغلبة أحد عوامل النصر النهائي , والنصر هو الهدف الأكبر للصراع. قد تكون الغلبة هدفا هاما في حد ذاتها ولكن كعامل يمهد لتحقيق الانتصار الكبير القادم.
6	الوقت	الغلبة تأتي في بداية الصراع , لذلك قد تعرف , وقد يختلف في وقتها و مكانها , فليست لها صدى النصر الكبير , لكن لا يختلف حول أهميتها.	النصر يأتي في النهاية , لذا فهو محدد الوقت أكثر , فهو مهم وعظيم ما يمكننا من تحديد وقته بدقة نسبية تاريخية. النصر له صدى قوي كنقطة تحول نوعي .	1- " حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ } البقرة214 2- {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }آل عمران123 3- {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ }- آل عمران12	نظرا لأن الغلبة تأتي بداية الصراع , مع قلة أفرادها وتشتت منطقتها . فهي عادة ليس لها صدى واسع . هذا يؤثر على تحديدها بدقة , فقد يختلف حولها الناس , مكانا وزمانا. لكن النصر حدث كبير هام , حشد لجميع القدرات ونتيجته حاسمة لها صدى واسع ومعروف , لذلك كان تحديده سهل مقارنة بمكان وزمن الغلبة.
7	المقاومة	الغلبة تعني بالضرورة وجود مقاومة ودفاع ضد الهجوم. فالغلبة تعني تفوق ضد خصم يقاوم ويدافع عن نفسه, حتى إن خسر , لكنه كان يُغالب.	النصر لا يعني بالضرورة وجود مقاومة , فقد يتحقق النصر بالاستسلام , وقد يتحقق بدون مقاومة تذكر , ويسمى أيضا نصرا عسكريا حاسما.	1-(وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ) الأنفال66 2- (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ) – البقرة : 249. 3- {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ }النصر1 4-(إن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ) – آل عمران : 160	لان الغلبة ليس فيها حسم كبير وحشد للقوى , وهي تأتي بالضرورة قبل تحقيق النصر الكبير , فهي في العادة تلقى مقاومة من الخصم قبل إعلان الهزيمة , لكن النصر هو آخر المراحل قد يأتي وقد أنهكت قوى الخصم , وخسر مقاومته وضعفت , وقد يحدث بإعلان الاستسلام دون وجود مقاومة.

ملاحظات هامة:

1- من الجيد أن يراعى توفر أكبر عدد من الخصائص عند الحكم على التفرقة.

2- قد تجتمع الغلبة والنصر في معركة واحدة , في البداية غلبة ثم يتلوه النصر.

إذاً ومن خلال الجدول السابق يتضح أن القرآن الكريم استخدم كلمتان مختلفتان للدلالة على معنيين مختلفين , فهناك فرق بين معنى (الغلبة) ومعنى (النصر) , وذلك من حيث الاستخدام , و دلالة المعاني البلاغية و الزمنية والمكانية , و العسكرية أيضا.

فالقرآن الكريم أشار إلى بعض معارك هامة جرت بعد معارك في ريفي سوريا والأردن تهيئ الفرس لتحقيق انتصارات كبرى تحققت بالفعل , ورأيناها تتحقق بوضوح في القدس والإسكندرية وآسيا الصغرى , وصولا إلى حصار العاصمة البيزنطية للإمبراطورية الرومانية الشرقية.

طبعا معركة القدس كانت لها دلالات أخرى , فقد اعتبرت هزيمة دينية كذلك , بحكم كون المدينة مقدسة لدى النصارى , وبحكم انتزاع الفرس للصليب الكبير الذي يجعله النصارى شعارا دينيا خاصا. ومن هنا كان لسقوط القدس صدى واسع وكبير جدا. لم يقف عند معاني الهزيمة العسكرية فقط.

لذلك أشار القرآن الكريم إليها قبل حدوثها إشارة خاصة , فتحدث عن غلبة فارسية حدثت في مناطق شمال البحر الميت قبل وقوع المعركة الكبرى.

<u>ولابد هنا من الملاحظة إلى أن الغلبة التى تنبأ القرآن الكريم بحدوثها لصالح الروم بعد بضع سنين تحمل نفس الطابع ونفس الخصائص اللغوية والمعانى والدلالات للغلبة الأولى التى وقعت لصالح الفرس , فلا نقع فى نفس الخطأ مرتين.</u>

<u>إذن وكخلاصة للموضوع نستطيع أن نستوعب المعانى التالية:</u>

1- القرآن الكريم لا يشير إلى منطقة محددة جرت فيها معركة واحدة , بل يشير إلى منطقة واسعة (شمال البحر الميت) جرت فيها بعض المعارك . واختلاف المفسرون (بعد نزول الآية) دليل على عدم تحديد النص القرآني الكريم لمنطقة واحدة ومحددة.

2- اتفاق الأخبار على نزول الآية الكريمة قبل معركة القدس الهامة. وبعد معارك بصرى وأذرعات . فلا رابط بين الآيات الكريمة ومعركة القدس.

3- معلوم بالضرورة أن عبور الجيش الفارسي في مناطق شمال البحر الميت قد حدث بالتأكيد , ومعلوم بالإجماع وجدود مدن هامة شمال البحر الميت كمدينة أريحا وغيرها , ومن المعروف وجود نهر الأردن الجاذب للتجمعات السكانية.

4- تحدث القرآن الكريم عن غلبة للفرس ستستمر بضع سنين , ثم ينقلب الحال عليهم , فيبدأ الروم بغلبة مضادة تقودهم لتحقيق النصر.

5- الغلبة التى تحدث عنها القرآن الكريم للفرس ثم للروم بعد بضع سنين لا تحمل معنى نصرا كاملا ونهائيا:

أ- لم تكن معارك حاسمة للصراع لكنها عوامل هامة للوصول للنصر.

ب- لم تحشد فيها معظم قوات الجيش للطرفين.

ج- لم تلفت أنظار المؤرخين كثيرا , لكنها ثابتة تاريخيا وجغرافيا ومنطقيا.

د- حدثت فيها مقاومة من الطرفين , حيث كان الجيشان مازالا يمتلكان قوة.

هـ- حدثت في بداية المعارك , فهيئت نصرا قادما للجيش.

==

==

الاعتراض الثانى:

حتى لو افترضنا أن الآيات القرآنية تحدثت عن مناطق التي سقطت في الطريق من بصرى الشام إلى القدس , وبأنها تقع شمال البحر الميت , فلا يعد هذا معجزا , حيث أن البحر الميت ليس أخفض منطقة في العالم.

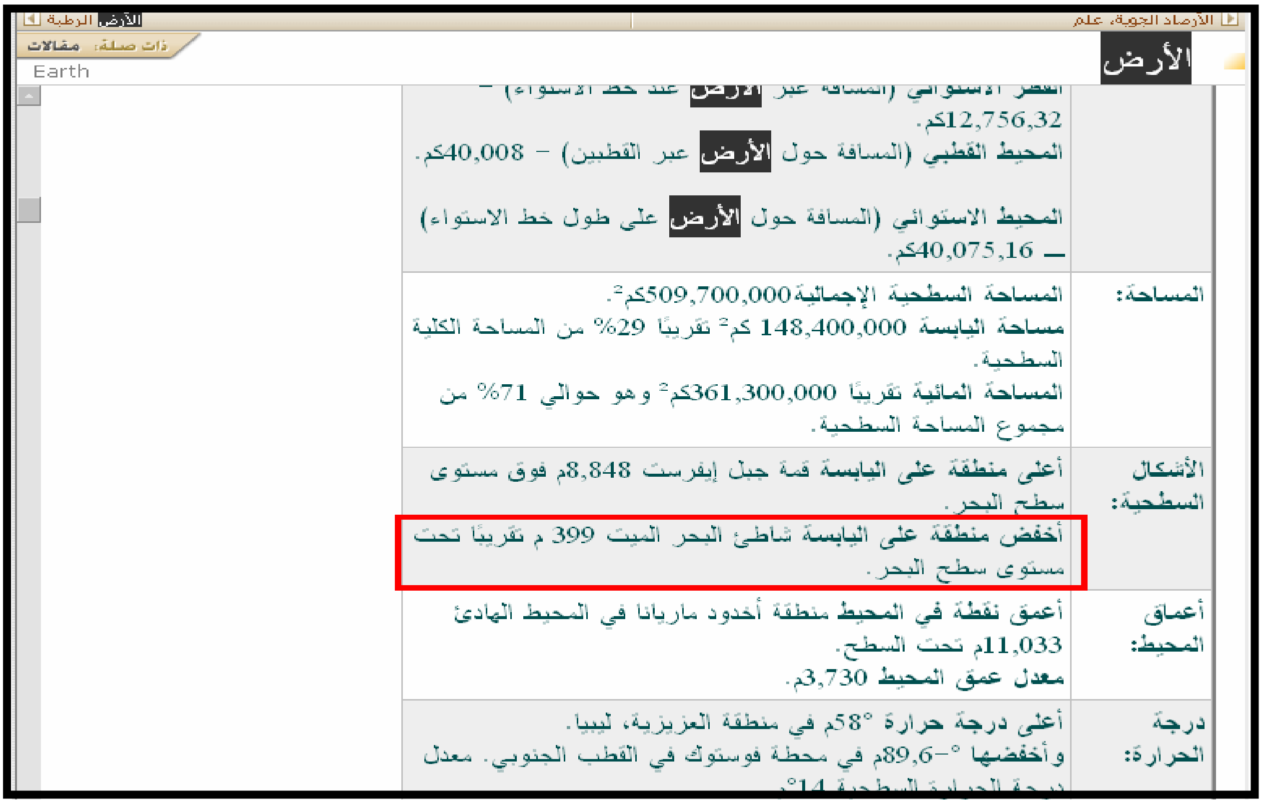
الجواب والتوضيح

هذا الاعتراض لا قيمة له, وهو يدل على الإصرار في إنكار الحقائق فقط , ولا يضر إلا صاحبه. أما أصحاب الحق فهم واثقون من عمق الحقائق التي يستندون إليها.

والبحر الميت هو بالفعل (أدنى = أسفل = أخفض) منطقة في اليابسة , وهذا من الشهرة بحيث تواترت المراجع في هذا الخصوص , الأجنبية والعربية , المسيحية والإسلامية على حد سواء:

أولا : شهادة الموسوعات والمراجع الدولية

1- الموسوعة العربية العالمية (الأرض):



	القطر الاستوائي (المسافة عبر الأرض عند خط الاستواء) – 12,756,32كم. المحيط القطبي (المسافة حول الأرض عبر القطبين) – 40,008كم. المحيط الاستوائي (المسافة حول الأرض على طول خط الاستواء) ـ 40,075,16كم.
المساحة:	المساحة السطحية الإجمالية 509,700,000كم². مساحة اليابسة 148,400,000 كم² تقريبًا 29% من المساحة الكلية السطحية. المساحة المائية تقريبًا 361,300,000كم² وهو حوالي 71% من مجموع المساحة السطحية.
الأشكال السطحية:	أعلى منطقة على اليابسة قمة جبل إيفرست 8,848م فوق مستوى سطح البحر. أخفض منطقة على اليابسة شاطئ البحر الميت 399 م تقريبًا تحت مستوى سطح البحر.
أعماق المحيط:	أعمق نقطة في المحيط منطقة أخدود ماريانا في المحيط الهادئ 11,033م تحت السطح. معدل عمق المحيط 3,730م.
درجة الحرارة:	أعلى درجة حرارة 58°م في منطقة العزيزية، ليبيا. وأخفضها −89,6°م في محطة فوستوك في القطب الجنوبي. معدل درجة الحرارة السطحية 14°م.

Dead Sea

البحر الميت



البحر الميت

البحر الميّت بحيرة مالحة تقع في فلسطين المحتلة والأردن عند مصب نهر الأردن، يعد ساحله الذي يبلغ ٣٩٩م تحت مستوى سطح البحر أكثر الأماكن انخفاضًا على وجه الأرض. والبحر الميت هو أشد المسطحات المائية ملوحة في العالم، إذ تبلغ ملوحته تسعة أضعاف ملوحة المحيط. ويشكل هذا البحر جزءًا من الحدود الفاصلة بين فلسطين والأردن.

وتبدو مياه البحر الميت هادئة رقراقة، وتحيط به أرض صخريّة قاحلة، وترتفع فوق ضفتيه الشرقية والغربية صخور زاهية الألوان، وقد سميت البحيرة بالبحر الميت لأنه لايوجد فيها سوى القليل من النباتات. كما أنه لايوجد فيها أسماك غير روبيان المياه المالحة. وإلى جانب هذا تكاد الحياة النباتية تنعدم تمامًا في الأراضي المالحة التي تحيط بها.

يقع البحر الميت في غور عميق في القشرة الأرضية وتغطي مياهه نحوًا من ١٠٠٤٠كم²، ويبلغ عرضه ١٨كم عند أشد النقاط اتساعًا، بينما يبلغ طوله زهاء ٨٠كم.

وفي البحر الميت شبه جزيرة تعرف باسم اللِّسان تمتد إلى داخل البحر الميت من ساحله الشرقي، وشبه الجزيرة تقسم البحيرة إلى حوض شمالي كبير، وحوض جنوبي صغير. ويضم الحوض الشمالي أشد أجزاء البحيرة عمقًا، وفي هذه المنطقة يبلغ قاع البحيرة ٤٠٠م تحت سطحها، ونحوًا من ٧٩٩م تحت سطح البحر.

ويلاحظ أن مستوى المياه في البحر الميت آخذ في التناقص منذ أوائل القرن العشرين، إذ إن معدّل هطول الأمطار في هذه المنطقة أقل من ١٠٠ملم في العام. ورغم أنّ نهر الأردن وعددًا من النهيرات تغذي البحيرة بمياه عذبة تمتزج عند

2- دائرة المعارف الكتابية (البحر الشرقي, البحر الميت) :

البحر الشرقي (البحر الميت)

وهو عبارة عن بحيرة شديدة الملوحة، تشغل الجزء الجنوبي من وادي الأردن، وتسمى في الكتاب " بحر الملح " (تك ١٤ : ٣، العدد ٣٤ : ٣ و ١٢، تث ٣ : ١٧، يش ٣ : ١٦، ١٥ : ٢ و ٥، ١٨ : ١٩)، و " بحر العربة " (أو بحر السهل - تث ٣ : ١٧، ٤ : ٤٩، يش ٣ : ١٦، ٢ مل ١٤ : ٢٥)، و " البحر الشرقي " (حز ٤٧ : ١٨، يوئيل ٢ : ٢٠). كما يطلق عليه يوسيفوس " بحيرة الزفت "، كما يسمى في التلمود " بحر سدوم "، ويطلق عليه العرب اسم " بحر لوط ".

والبحر الميت ظاهرة جغرافية ملحوظة، ومحور من محاور التاريخ، وهو يشغل جزءاً من الأخدود الأفريقي الأسيوي، وهو أعمق منخفض في كل قارات العالم، فينخفض سطحه نحو ١٣٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر المتوسط، ويبلغ عمق القاع نحو ١٣٠٠ قدم عن مستوى سطح الماء فيه، وهو مسطح من الماء الضارب إلى الخضرة يمتد نحو خمسين ميلاً من دلتا الأردن الطينية الملحية في الشمال إلى المستنقعات الضحلة في منطقة السبخة في الجنوب، وتكتنفه من الجانبين جبال اليهودية من الغرب وشرق الأردن من الشرق حتى أنه لا يزيد في أعرض أجزائه عن أحد عشر ميلاً، ويضيق عند منطقة " اللسان " إلى نحو ميلين فقط . و " اللسان " هو شبه جزيرة - أقرب إلى شكل القارب الذي تتجه مقدمته إلى الشمال - ويفصل بين الحوض الشمالي العميق الذي تبلغ مساحته نحو ٢٩٤ ميلاً مربعاً، وبين الحوض الجنوبي الضحل الذي تبلغ مساحته نحو ٩٩ ميلاً مربعاً. ولهذا البحر - الذي لا حياة فيه - أهمية كبيرة وشهرة واسعة لتركيبه الجيولوجي، وخصائصه الهيدرولوجية، وموارده الطبيعية، والدور الذي له في تاريخ

3- الموسوعة العالمية البريطانية – مادة " البحر الميت":

"Arabic Al-Baḥr al-Mayyit , Hebrew Yam HaMelaẖ , also known as Salt Sea landlocked salt lake between Israel and Jordan, which lies some 1,300 feet (400 metres) below sea level—the lowest elevation and the lowest body of water on the surface of the Earth"

الترجمة:

" في العربية " البحر الميت", وفي العبرية " يم هاملاه" , وعرف أيضا ببحر الملح (ارض مغلقة) بحيرة الملح . ويقع بين إسرائيل والأردن , ويمتد نحو 1300 قدم (400) متر تحت مستوى سطح البحر , أقل المناطق انخفاضاً عن سطح البحر على وجه الأرض".

4- وكالة ناسا (NASA) الأمريكية للفضاء

" The Dead sea basin is formed by active earthquake faulting and contains the lowest place on the earth's surface at about 400 meters (1,300 feet) below sea level " –.

المرجع: (NASA) أحد ملحقات برنامج (e-Sword) العالمي.

الترجمة:

" إن حوض البحر الميت تشكل عبر تصدعات الزلازل النشطة , ويوجد فيه أخفض منطقة على سطح الأرض حوالي 400 متر (1,300 قدم) تحت مستوى سطح البحر"

ثانيا: الصور الفضائية والجوية (التى تظهر المنخفض بوضوح)



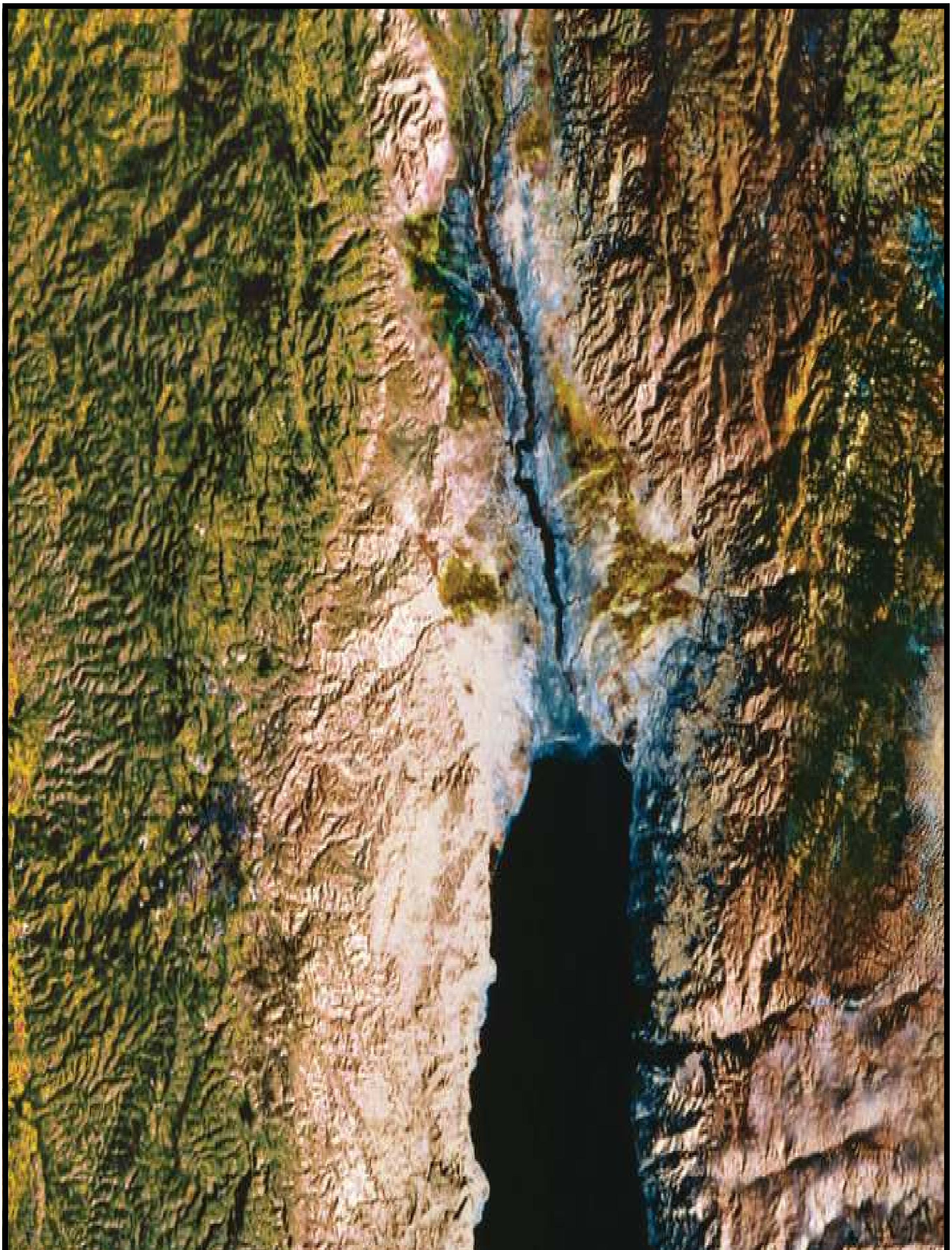
منظر فضائى لشمال البحر الميت من أقمار (NASA)

المصدر: (NASA) أحد ملحقات برنامج (e-Sword) العالمى.



منظر فضائي لشمال البحر الميت

المصدر: برنامج (Google) العالمي.



منظر فضائي رائع لشمال البحر الميت

المصدر: .Oxford Bible Atlas - 4 edition- page 6



منظر فضائي يظهر شمال البحر الميت ومدينتي أريحا و القدس والتضاريس الجبلية

المصدر: Holy Land Satellite Map Version 1.0.01



منخفض البحر الميت كما يبدوا من قلعة مصعدة التاريخية

المصدر: ملحق برنامج (Davar3) العالمى – from www.bibleplaces.com



منظر جوى للبحر الميت

المصدر: Holy Land Satellite Map Version 1.0.01



منظر جوي للطريق القديم بين القدس و أريحا

المصدر: Oxford Bible Atlas - 4 edition- page 22-23.



منظر جوي للشاطئ الغربى للبحر الميت

المصدر: Oxford Bible Atlas - 4 edition- page 51.



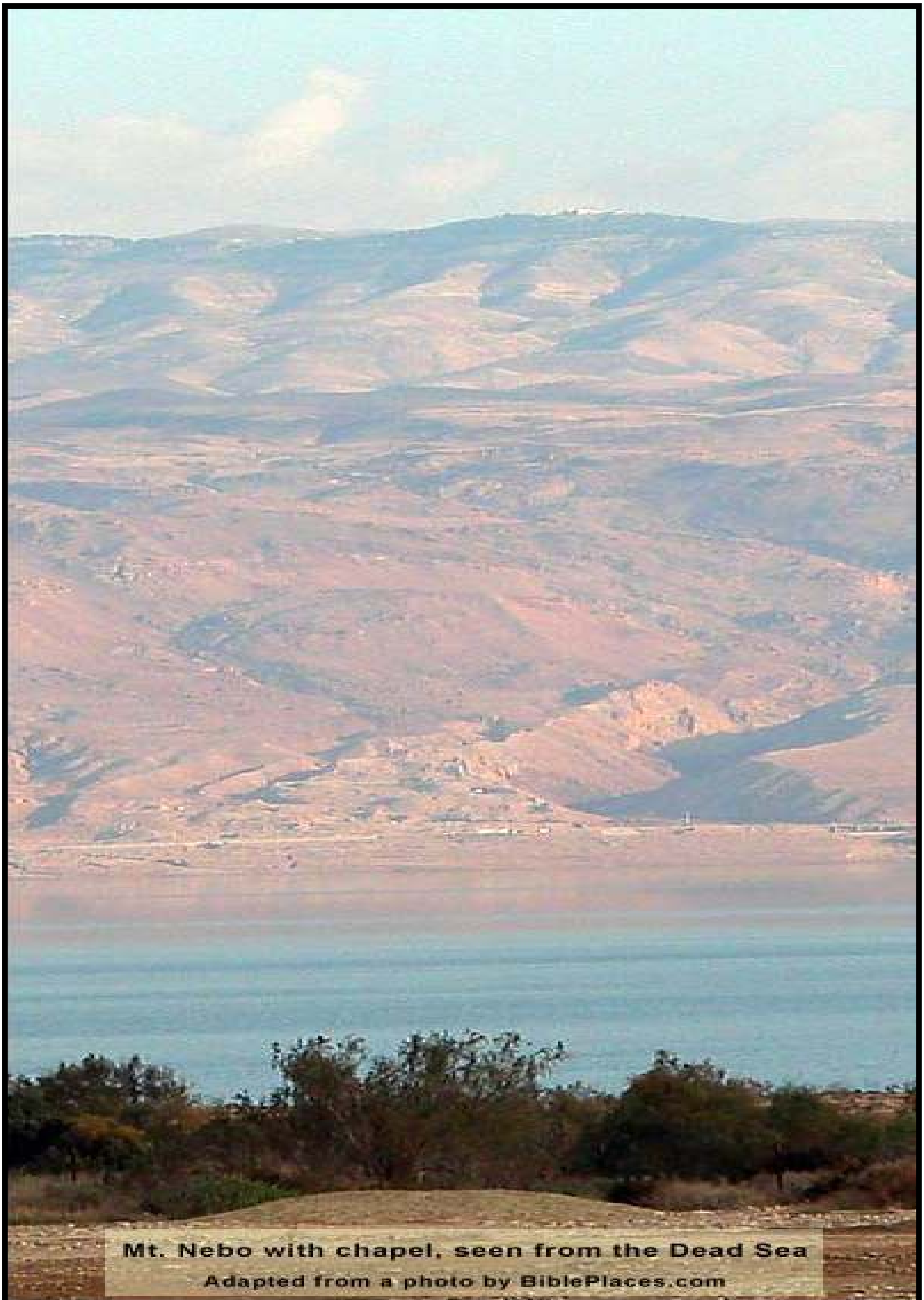
منظر جوى لمنخفض مدينة أريحا شمال البحر الميت

المصدر: ملحق برنامج (Davar3) العالمى – from www.bibleplaces.com



منظر جوي لمنخفض مدينة أريحا كما يبدو من الشرق

المصدر: ملحق برنامج (Davar3) العالمى – from www.bibleplaces.com



جبل نبو الشهير مقابل أريحا كما يُشاهد من منخفض البحر الميت

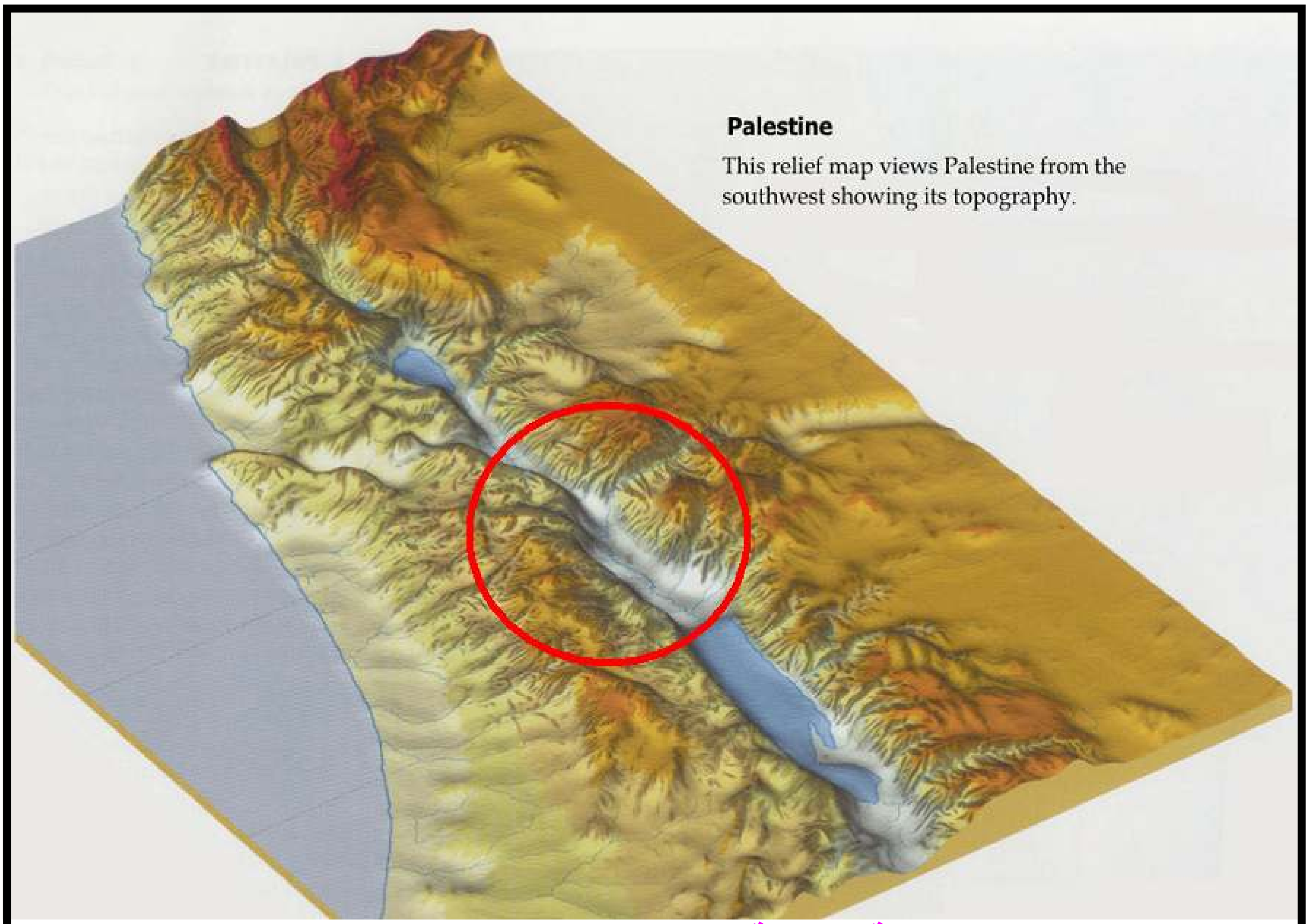
المصدر: ظاهر في الصورة (www.bibleplaces.com)

ثالثا : الخرائط التوضيحية



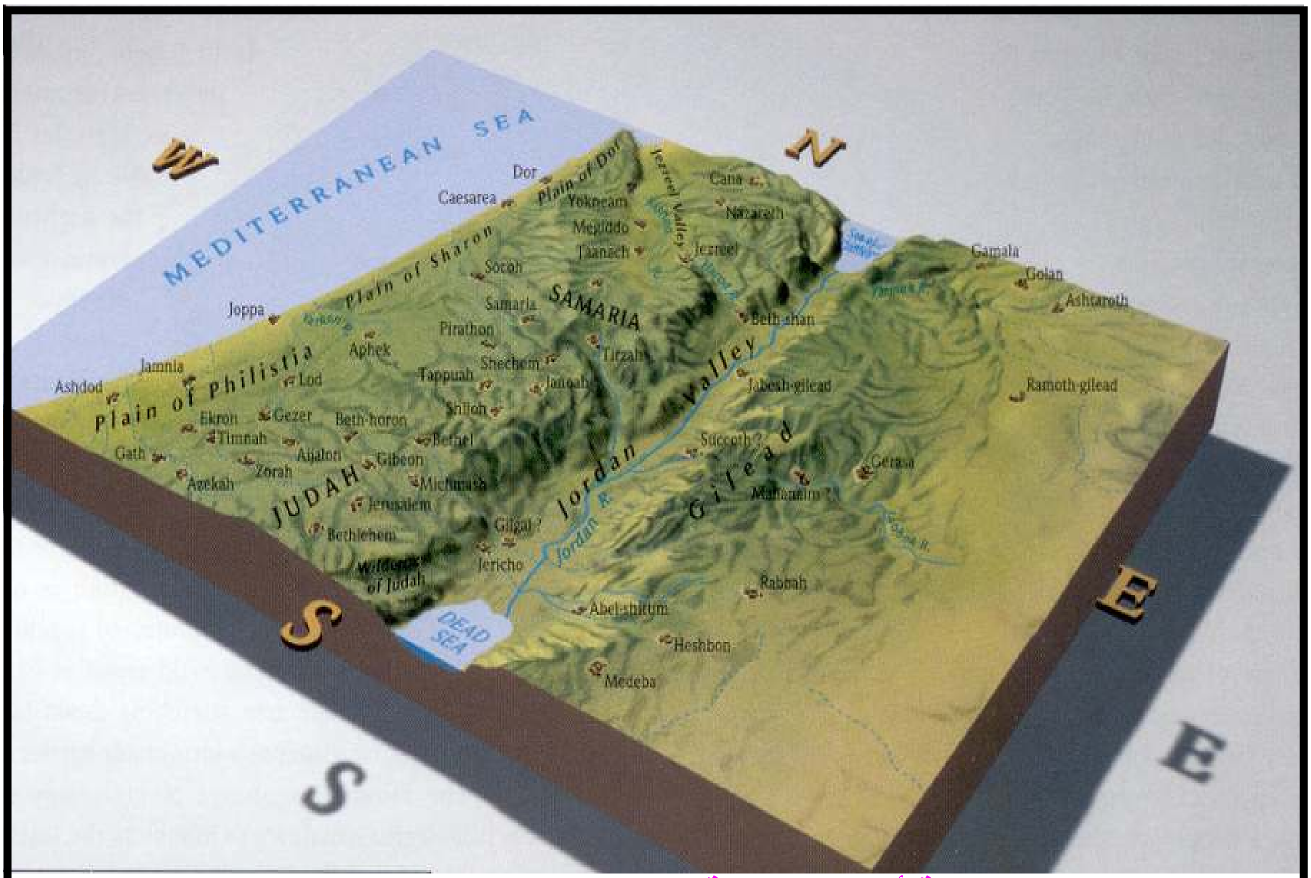
خريطة تظهر تميز عمق انخفاض شمال البحر الميت (400متر) عن المناطق الأخرى

المصدر: ملحق برنامج (Davar3) العالمى – Zaine Ridling , PhD, Access Foundation. Chicago, US



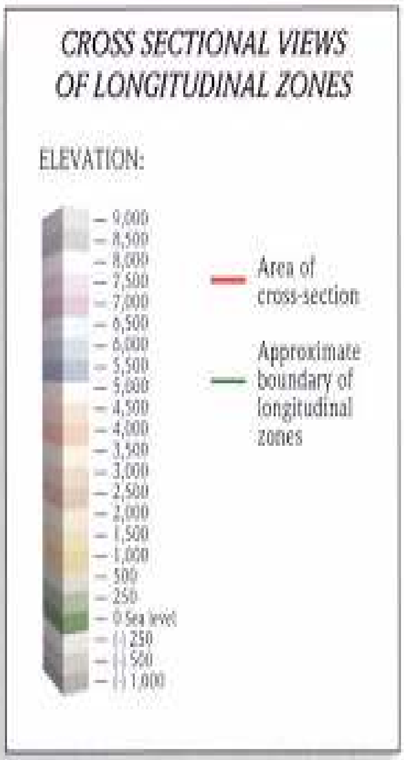
خريطة واضحة لمنخفض شمال البحر الميت

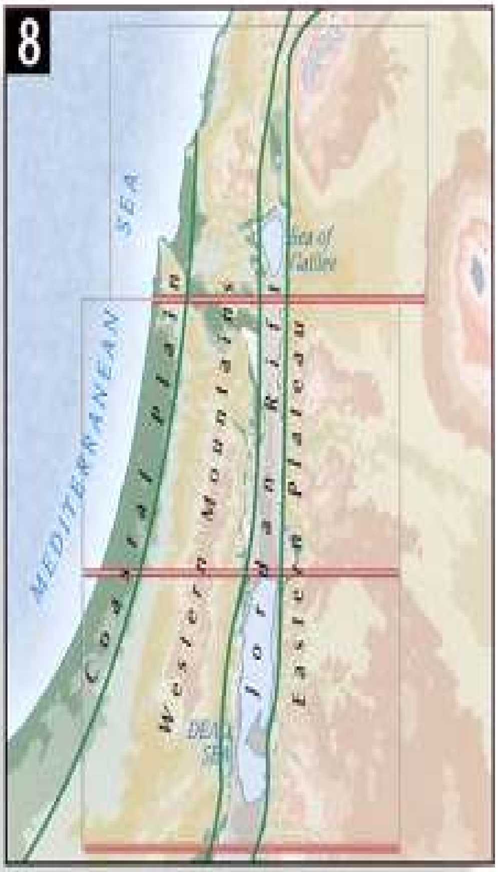
المصدر: ملحق برنامج (Davar3) العالمى – Zaine Ridling , PhD, Access Foundation. Chicago, US

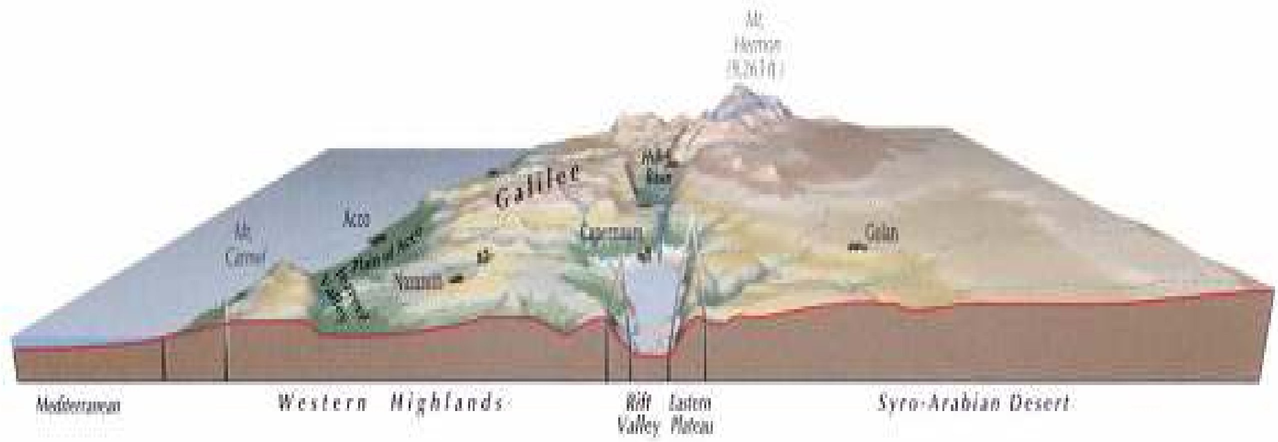


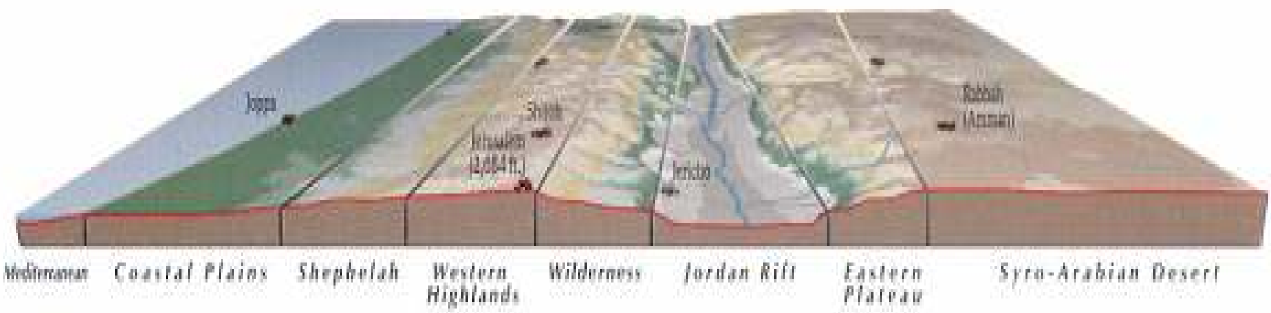
خريطة أخرى واضحة لمنخفض شمال البحر الميت

المصدر: ملحق برنامج (Davar3) العالمى – Zaine Ridling , PhD, Access Foundation. Chicago, US









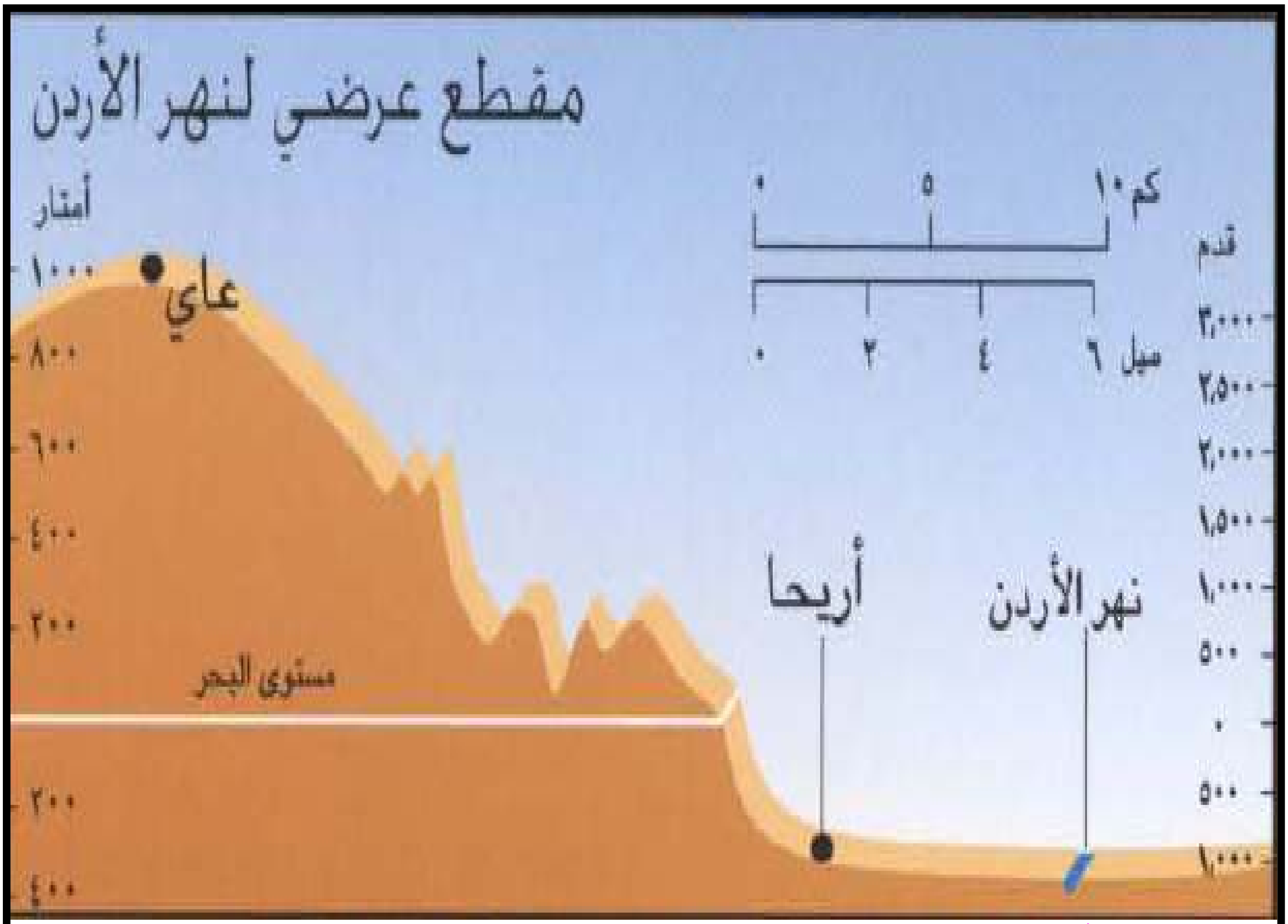
رسوم مقطعية لمنخفض شمال حوض البحر الميت

المصدر: ملحق برنامج (Davar3) العالمي – Zaine Ridling , PhD, Access Foundation. Chicago, US



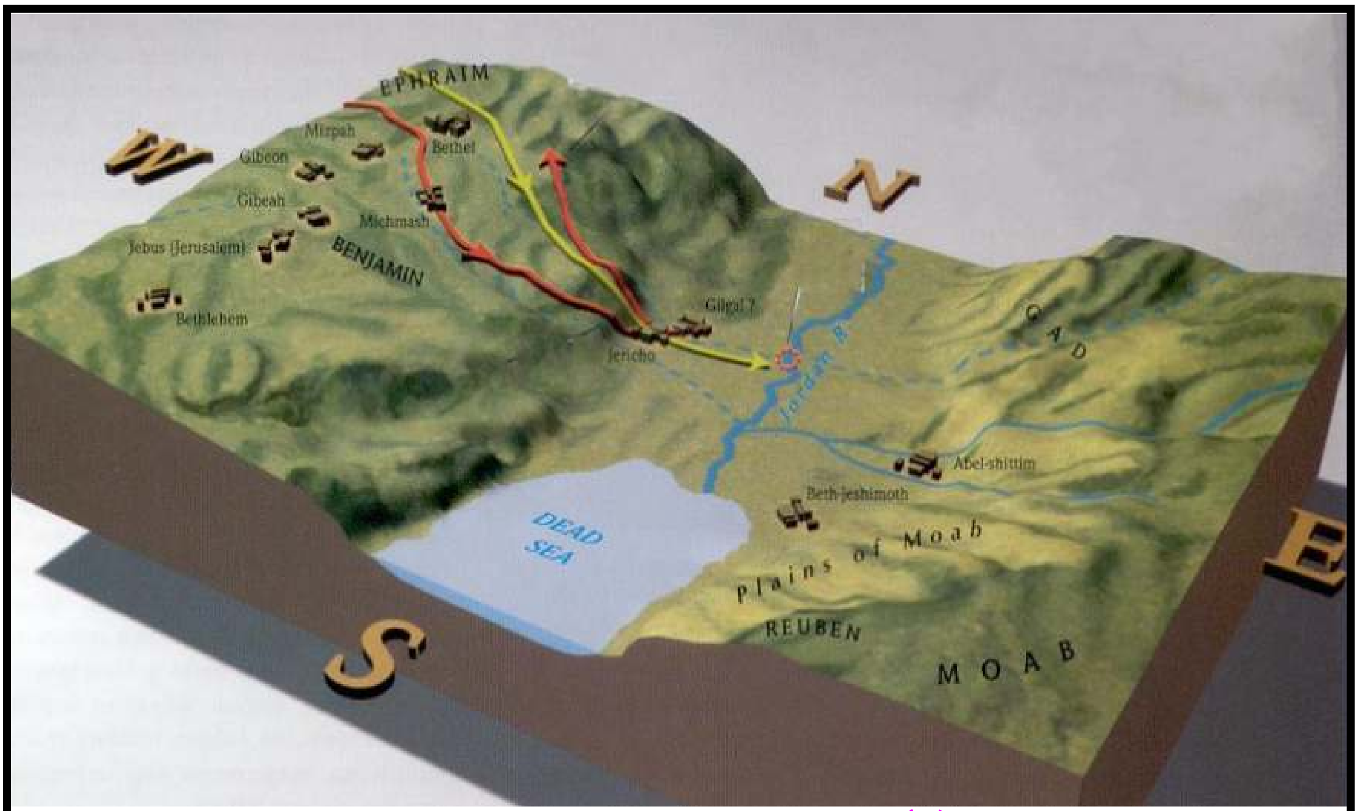
<u>رسم قالبى رائع يظهر مدى عمق أخدود البحر الميت (أدنى الأرض)</u>

<u>المصدر: (أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية- تيم داولى _ ص 10)</u>



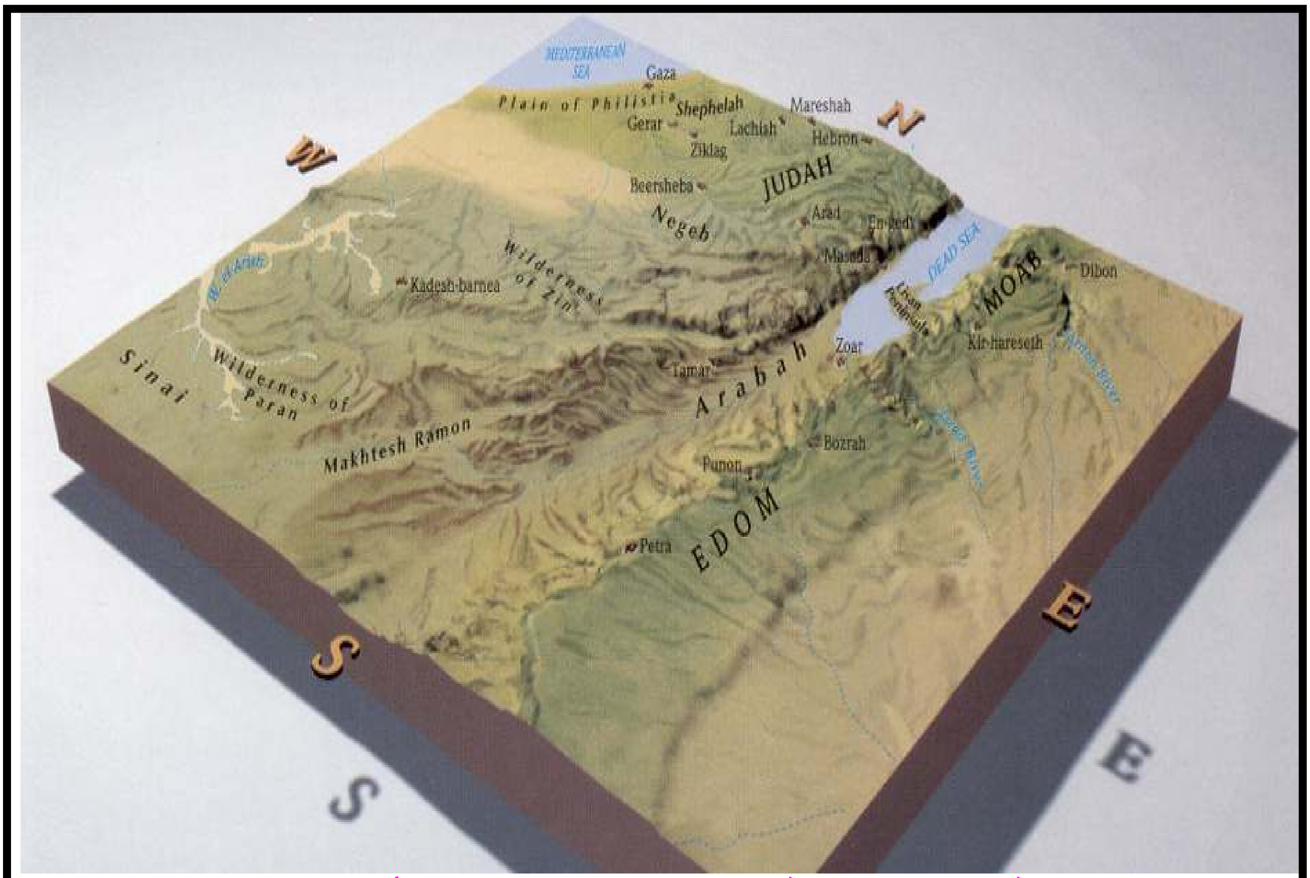
<u>رسم قياسي لمستويات الارتفاع والانخفاض لمناطق شمال البحر الميت</u>

<u>المصدر: (أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية- تيم داولي _ص 23)</u>



<u>خريطة أخرى لمنخفض شمال البحر الميت</u>

المصدر: ملحق برنامج (Davar3) العالمى – Zaine Ridling , PhD, Access Foundation. Chicago, US



خريطة توضح منطقة جنوب البحر الميت (الأقل انخفاضا)

المصدر: ملحق برنامج (Davar3) العالمى – Zaine Ridling , PhD, Access Foundation. Chicago, US

وأمام هذا الإجماع العالمى لا نملك سوى أن نردد قول الله تعالى:

(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) النمل: 14

طبعا نستطيع الملاحظة أن المناطق الواقعة على الساحل الشمالي للبحر الميت , أكثر عمقا وانخفاضا من المناطق الواقعة على الساحل الجنوبي للبحر الميت (الصورة الأخيرة).

==

==

الاعتراض الثالث:

هناك تدليس لغوي لدعاة الإعجاز العلمي , فجملة (أدنى الأرض) لا تعني أبدا " أخفض منطقة في الأرض " حيث أن معنى الكلمة " أدنى " هو " أقرب " , وهو ما تؤكده المراجع اللغوية , وكذلك المفسرين المسلمين القدماء.

الجواب والتوضيح

أولا: بالنسبة لرأي المفسرين فمن نافلة القول أن نقول أن لكل عصر مستواه العلمي , فإذا كانت هذه الآية الكريمة تشير فعلا إلى (أسفل منطقة في الأرض) فكيف يتسنى لمن هم في العصور القديمة فهم ومعرفة ذلك؟ , بل وكيف يتسنى للمعارضين وقتها التسليم بأن هذه المنطقة هي فعلا(أسفل) منطقة في الأرض , بدون وجود أي تقدم علمي يؤكد أو ينفي ذلك. فمن الطبيعي جدا للمفسرين أن يفهموا معاني اللغة ضمن إطارهم المعرفي والعلمي لذلك الوقت , ومن الغباء أن نطالبهم بأكثر من هذا الدور.

ولكن لعدم إدراك «المفهوم الجيولوجي» في ذلك الوقت فسرت كلمة أدنى (بمفهوم جغرافي) يوحي بأنها أقرب أرض من حيث المسافة , وليس (أخفض) من حيث العمق.

لكن الحقيقة أن المفسرين لم يتفقوا في تفسير أقرب الأرض (حسب تفسيرهم القديم) , فمرة هي اقرب إلى مكة, ومرة أخرى هي اقرب إلى فارس, ومرة أخرى أقرب إلى ارض الروم.

وجميع تلك التوجيهات لم تصب كبد الحقيقة , فليست مناطق المعارك شمال البحر الميت أقرب إلى مكة , فدومة الجندل مثلا (وهي أرض تابعة للروم) وجميع مدن الأردن أقرب منها إلى مكة. وليست أقرب إلى فارس , فدمشق أقرب إلى فارس منها بالتأكيد. وليست أقرب إلى الروم , فهي تقع ضمن أراضيهم أصلا.

ثانيا: من الناحية اللغوية , ففعلا فأحد مدلولات معاني كلمة (أدنى) هي (أقرب) , حسنا..... لكن دعونا الآن ننظر إلى هذا الموضوع من أربع زوايا هامة جدا.......

أولا: استخدامات الكلمة فى القرآن الكريم

استخدام القرآن الكريم (مرجع العربية الأول) هذه الكلمة بهذه المعانى:

1- استخدام " دن " بمعنى أقرب : "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا " – النساء:3.

2- استخدام " دن " بمعنى أسفل : {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } _ فصلت :12.

3- استخدام " دن " بمعنى الخفض والانخفاض :

أ- {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } _ الأحزاب : 59.

ب- {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى } _ النجم : 9.

لاحظ أن جميع معاني (أدنى) يمكن أن تفسر (الأقرب) , لكن لأن هذا القرب رأسيا , فهو انخفاض , فالسموات السبع حيث كل واحدة فوق الأخرى , وأسفلها هي السماء الدنيا , لذلك كانت الأقرب إلى الأرض. والأمر بخفض الجلباب من أعلى الرأس إلى أسفله (على الوجه أو على شعر الرأس) كذلك , وجبريل هبط من السماء إلى الأرض نزل وانخفض فيها فاقترب من النبي (ص).

1- {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً } _ الإنسان :14. بمعنى أن الشجر وأغصانها منخفضة إلى الأسفل باتجاه الأرض من أجل إظلالهم من الحر. وهي بالتالي قريبة منهم حين يستلقون على ظهرهم للراحة.

2- { فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ } – الحاقة : 22-23. تأمل كيف أن الله تعالى عندما وصف الجنة بالعلو , اخبرنا فورا أن ذلك لا يؤثر على شجر وثمار الجنة وسهولة قطفها , فوصف قطوفها بأنها دانية , بمعنى منخفضة إلى الأسفل , ولا يصح أن نفهم هنا أنها تعني " قريبة منهم " فقط , إذ أن الوصف وصف ثابت للثمر , كما هو وصف ثابت للجنة , فهي دانية (منخفضة للأسفل) سواء كان المؤمنون تحتها أم في مكان آخر بعيدا عنها, فهي منخفضة بحيث تكون قريبة من الأرض وأهلها.

ثانيا: القواميس العربية

هل المعنى اللغوي الوحيد لكلمة (أدنى) هو (أقرب) بالمعنى الأفقي فقط ؟؟ الحقيقة التي لا خلاف عليها , أن كلمة (أدنى) تحتمل عدة معاني لغوية , حسب سياقها اللغوي , ومن هذه المعاني اللغوية معنى (أسفل الشيء) , وهذا ما يؤكده أعظم قواميس العرب المعروف بلسان العرب حيث يقول بالنص (باب الدال- مادة دنى) :

" ويقال: دَنا وأَدْنى ودَنَّى إذا قَرُبَ، قال: وأَدْنى إذا عاشَ عَيْشاً ضَيِّقاً بعد سَعَةٍ. والأَدْنى: السَّفِلُ. ". انتهى.

و السَّفِلُ ضد (العلو) والأسفل ضد (الأعلى) , ولذلك استخدم الشعراء العرب هذا المعنى , فيورد صاحب لسان العرب قول أحد الشعراء(باب الألف- مادة الأب) :

" يقال هذا أبوك وهذا أباك وهذا أَبُكَ؛ قال الشاعر:

سِوَى أَبِكَ الأَدْنى، وأَنَّ محمَّداً
عَلا كلَّ عالٍ، يا ابنَ عَمِّ محمَّدِ " .انتهى.

ومن ذلك قول ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى:

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فإن.... تفعل رجعت بذلة وهوان
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتحـ.. ـرم ذا وذا يا ذلة الحرمان

ويقول(أبو عدي النمري) :

تهامية الأدنى حجازية الذرى .... كأن عليها من عُمان شقيقها

*** وكلمة (أدنى) هي صفة مشتقة من الفعل (دنى) من الماضي الثلاثي , ولذلك يقول صاحب معجم (مقاييس اللغة) ابن فارس من القرن الرابع الهجري (مادة"دن"):**

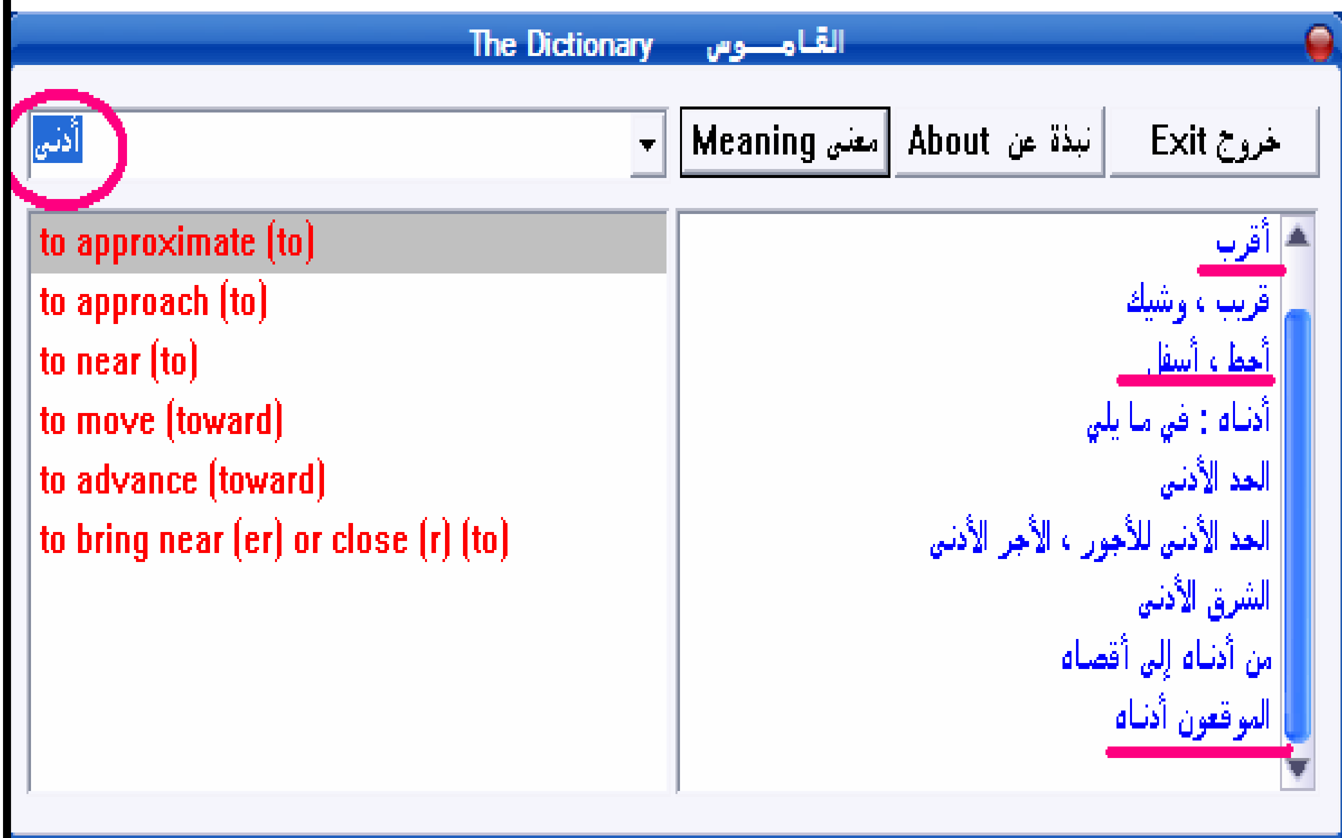
" دن: الدال والنون أصل واحد يدل على تطامن وانخفاض . فالأدن: الرجل المنحني الظهر, يقال منه قد دننت دننا , ويقال بيت ادنّ , أي متطامن , وفرس أدن , أي قصير اليدين , وإذا كان كذلك كان منسجه منخفضا. ومن ذلك الدندنة , وهو أن تسمع من الرجل نغية لا تفهم , وذلك لأنه يخفض صوته بما يقوله ويخفيه , ومنه الحديث: " فأما دندنتك ودندنة معاذ فلا نحسنهما" . انتهى.

ومن هذا الاستخدام الذي ما زال مستخدما إلى يومنا هذا فنكتب(الموقعون أدناه) , بمعنى الموقعون أسفل الورقة .

فلا جدال أن من معاني (أدنى) أسفل وأخفض وأقرب. ويظهر بوضوح أن الكلمة تعني في الأساس (التقليل من قيمة الشيء) , سواء كانت القيمة مادية كالمسافات (أفقيا أو رأسيا) , أو معنوية كالأخلاق.

ولا تزال القواميس إلى اليوم تستخدم " دنى" بمعنى (قريب \ أحط \ أسفل):





صور لقاموسين حديثين يظهران معانى الكلمة

ثالثا: الكلمة فى اللغات السامية

اللغات السامية هي تلك اللغات التي تشترك في العديد من الخواص اللغوية المشتركة , كخاصية وجود الجذر الثلاثي للفعل , والخاصية الصوتية المتشابهة , وخاصية تشابه كثير من الجذور اللغوية .

وتعتبر اللغة العبرية أحد اللغات السامية الحية , إلى جانب اللغة العربية طبعا. ولا يخفى على أحد حجم التشابه الكبير بين مفردات اللغتين , وجذور اشتقاق الكلمات, فهما أختان ساميتان.

وعن ذلك تخبرنا الموسوعة العربية العالمية :

" العائلات اللغوية: يصنف الباحثون اللغات إلى عائلات، والعائلات اللغوية هي مجموعة من اللغات المترابطة، لأنها جميعها نشأت بصورة بطيئة من لغة واحدة موغلة في القدم تسمى اللغة الأصل. وعندما يصبح المتكلمون بلغة ما منقسمين إلى مجموعات لا يتصل بعضها ببعض، تستمر لغة كل مجموعة بالتغير بطريقتها الخاصة، وبعد عدة قرون تتكلم تلك المجموعات بشكل مختلف إلى درجة بعيدة بحيث إنها لا تفهم بعضها بعضًا. ومع ذلك، فإن اللغات في كل عائلة لا تزال تعتبر مرتبطة معًا لكوْنها نشأت من نفس اللغة الأصل "- مادة " اللغة".

اللغة العبرية تشترك مع اللغة العربية في الكثير من المفردات والجذور, واللغة العبرية هي لغة اليهود القومية , و بها تمت كتابة العهد القديم.

فهل يا ترى يمكننا ذلك أن نصل إلى معنى " أدنى " من خلال اللغة العبرية , اللغة الشقيقة للعربية.؟؟ فكيف وردت " أدنى " في الكتاب المقدس؟

ترد في التوراة الحالية كلمة " دان " في أول ذكر لها في (تكوين 14:14), والكلمة تعني " قاضي" , وهي كلمة مشتقة من الدينونة (تكوين 16:49) وتعنى الحكم و القضاء. والكلمة قريبة جدا من الكلمة العربية " أدان" , والتي لها نفس المعنى.

و"**الإدانة**" ككلمة وردت أولا في (تكوين 14:15) فالله تعالى يدين الأمم , وهي مشتقة من الكلمة العبرية " **أدون** " , والتي تعني بالضبط : (**السيد / الرب / الإله / القاضي/ المالك**). ومنها الكلمة العبرية الشهيرة للإله " **أدوناي**".

والتاريخ يتحدث عن الإله " **دان** " اله الدينونة كما تذكر الموسوعة المسيحية العربية الالكترونية (مادة " دان") كاله معبود.

وواضح أن الكلمة تدل على حدث (الإدانة) وقع بين طرف عالي ومرتفع المكانة (قاض/ رب/ اله) وبين طرف ذو مكانة سفلى ومنخفضة وهو الذي صدر ضده حكم الإدانة و الدينونة.

وفى (معجم مفردات المشترك السامى) تأكيد لهذه الحقيقة:

* دان (٣) **dāna** : (حَكَمَ /قَضى):في الحبشية ዳየነ (٤) **dayana**
وفي العبرية דִּין (٥) **dīn** وفي الآرامية דָּן (٦) **dān**
وفي السريانية ܕܢ (٧) **dān** وفي الآشورية **danu** (٨) .

*** ومن الاشتقاق الملفت للنظر اسم " ددان" والتي تعنى بالضبط " منخفض"**

" ددان: اسم عبري معناه "دانِ" أو "منخفض"

– دائرة المعارف الكتابية (مادة " ددان")

*** ويردها القاموس التاريخي الشهير (Hitchcock) إلى أصلها فيقول:**

" **Dedan** : their breasts; friendship; a judge "

الترجمة: " **ددان : صدورهم ؛ الصداقة ؛ قاضي** ".

ولذلك يخاطبهم النبى بالقول (أرميا 8:49):

" اهربوا التفتوا تعمقوا في السكن يا سكان ددان"

* ووردت الصفة " أدنى " في الترجمة العربية (ترجمة الفانديك) في :

" لكي تعلم الأحياء أن العلي متسلط في مملكة الناس فيعطيها من يشاء وينصب عليها أدنى الناس."- دانيال 17:4.

وهي هنا بمعنى " أقل الناس / أحقر الناس/ أحط الناس" , ويعطينا قاموس استرونج الشهير الكلمة العبرية لمعنى " أدنى" هنا تحت رقم (8215) ويعيد أصلها إلى رقم(8213) :

H8213

שׁפל

shâphêl

shaw-fale'

A primitive root; to *depress* or *sink* (especially figuratively to *humiliate*, intransitively or transitively): - abase, bring (cast, put) down, debase, humble (self), be (bring, lay, make, put) low (-er).

"شفل" بالعبري و " سفل" بالعربية , وهي نفس أحد معاني " أدنى" العربية كما سبق. واضح أن معنى " أخفض/ down/ low (-er) " واضح تماما بالانجليزية.

وعند البحث عن كلمة " شفل" العبرية نجدها وردت كذلك بمعانى " أخفض"

1- " لأنه يخفض سكان العلاء يضع القرية المرتفعة.يضعها إلى الأرض.يلصق بالتراب" – إشعياء 5:26.

2- " وينزل برد بهبوط الوعر والى الحضيض توضع المدينة"- إشعياء 19:32.

3- " فرّق فيض غضبك وانظر كل متعظم واخفضه. " – أيوب 11:40.

4- " كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيما "- إشعياء 4:40.

وبذلك فإن اللغات الشقيقة للغة العربية تشهد أيضا بتلك المعاني أيضا , وبأن (أدنى) تعني : أقرب / أسفل / أخفض.

لاحظ أن المترجمين للكتاب المقدس إلى العربية أدركوا المعنى المقابل لكلمة (شفل) العبرية , وترجموها إلى بدقة (أخفض , أدنى) , برغم أنهم كانوا يستطيعون أن يترجموها إلى (أسفل) , لكن أدركوا أن (شفل) هي (سفل- أسفل) العربية , وهي أحدى معاني (أدنى) بكل وضوح.

فإذا وبوضوح كامل , نقول لا شك أن من معاني (أدنى) : الانخفاض , والسفلة , والقرب...وغيرها.

وقد عززنا ذلك بشهادات من قواميس اللغة , واستخدام القرآن الكريم للكلمة , بل ومن اللغة الشقيقة للعربية (العبرية).

فالإعجاز ثابت في قوله تعالى " أدنى الأرض " ....بمعنى " أسفل منطقة في الأرض". أخفض وأسفل نقطة فيها , بحيث هي الأقرب إلى مركز الأرض.

رابعا: شهادة المفسرين:

رأى المفسرون المسلمون القدامى في (أدنى الأرض) أقرب الأرض , لذا فسروا قوله تعالى (أدنى الأرض) بأنها أقرب مناطق الأرض إلى أرض العرب , وهذا واضح من خلال التفاسير القديمة. وهذا يعود كما قلنا إلى مستوى معارفهم في ذلك العصر , وهو الأمر الطبيعي.

لكن المفسرون رحمهم الله تعالى وإن كانوا قد فسروا (أدنى) بمعنى أقرب لعدم ظهور تلك الحقيقة في عصرهم , إلا أنهم فهموا أيضا أن من معاني كلمة (أدنى) الانخفاض في العمق (من الأعلى إلى الأسفل) :

1- فهذا ابن كثير رحمه الله تعالى يقول: " {فكان قاب قوسين أو أدنى} أي فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين, أي بقدرهما إذا مدا, قاله مجاهد وقتادة وقد قيل إن المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس إلى كبدها "

2- ويتحفنا الإمام الطبري رحمه الله تعالى بالقول: " فكان قاب قوسين أو أدنى: قال: دنا جبريل عليه السلام منه حتى كان قدر ذراع أو ذراعين.".

فالمفسرون رحمهم الله تعالى يدركون تماما أن من معاني (أدنى) النزول وأسفل الشيء والانخفاض , لكنهم لم يفسروها بذلك في سورة الروم لعدم علمهم بأنها بالفعل أخفض منطقة في الأرض حقيقة , وبالمعنى الحرفي لكلمة " أدنى الأرض".

وهناك ملاحظة لا تخفى على أحد , وهي أن هذا (القرب) قد يكون أفقيا , وقد يكون رأسيا. فإذا كان أفقيا (سطحيا) كان معنى أدنى (أقرب أفقيا), وإذا كان رأسيا فهو عن العمق(الارتفاع) وكان معنى أدنى أسفل وأخفض.

ولذلك فهم المفسرون القدماء على أنها وصف أفقي , بين أرض العرب وأرض المعركة , بسبب قلة معارفهم العلمية والمعرفية في ذلك الوقت. لكن الصحيح أنها وصف رأسي (العمق) لأدنى نقطة في الأرض. بمعنى أسفل نقطة في الأرض , بحيث هي الأقرب إلى مركزها.

فلا يوجد تحديد لمنطقة المعركة أصلا , لا تاريخيا ولا نصا قرآنيا. وكلمة الأرض الواردة في النص كلمة عامة , لا دليل على أنها تعني أرض العرب , أو أرض الروم أو غيرهما.

بعد هذا الإيضاح كله , اتضح التضليل الذي يمارسه المعترض من خلط المعاني , والاستشهاد بعلماء لم تظهر الحقيقة العلمية في عهدهم , فاقتصر المعترض على معنى واحد لكلمة (أدنى) , ثم عزز اعتراضه بعلم أشخاص عاشوا في القرون القديمة, فترك حقيقتان , الأولى المعاني الصحيحة والمتعددة لكلمة (أدنى) , والثانية أن الحقيقة العلمية حديثة وظهرت في العصر الحديث .

وفي طريقه الملتوي ترك قواميس اللغة , واستخدام القرآن الكريم للكلمة جانبا. وتناسى حقيقة أن التفسير اجتهاد , ويتأثر في الأمور الكونية للعلوم الحديثة , فإما أن تؤكد صدقه , وإما إن تؤكد كذبه. فلو كانت الحقيقة العلمية ضد معاني القرآن الكريم لاستعمل كل ما لديه لربط النص بالعلم الحديث.

الاعتراض الرابع:

حسنا ... من الممكن تقبل أن (أدنى) تعني أخفض , ولكن لماذا لم يستخدمها القرآن صراحة هنا ليبين الإعجاز كما تدعون , فقد استخدم القرآن كلمة (أخفض) ومشتقاتها في العديد من الآيات. لماذا لجأ إلى استخدام كلمة غير واضحة تماما ؟؟

الجواب والتوضيح

أولا : هذا الاعتراض ليس وجه منطقي , وسببه إصرار المعترض على حصر معنى (أدنى) في معنى واحد فقط , متجاوزا كل الأدلة الحاسمة السابقة , والتي ثبت أن من معاني (أدنى) أسفل الشيء / اخفضه/ أعمقه / أقربه. فلا وجاه معتبرة للاعتراض.

ولكي نقضي على ما تبقى من شك لديه نسأله السؤال التالي :

إذا تمسكتم بأن معنى (أدنى) هو أقرب فقط , فلماذا لم يستخدم القرآن كذلك كلمة (أقرب) هنا فيقول (غلبت الروم في أقرب الأرض) , وكلمة (أقرب) مستخدمة في القرآن الكريم في العديد من الآيات (ق16/ الواقعة85) , فلماذا لم يستخدمها هنا بوضوح إذا كان هذا هو معناها بالتحديد وفقط؟؟

فظهر أن الحق هو البحث عن معاني كلمة (أدنى) المختلفة والاستفادة من تلك المعاني.

ثانيا: أن استخدام (أدنى) أولى هنا من استخدام أخفض , حيث لم يكن علم وقتها , وكانت ستحدث لغطا أكثر من فائدتها, ولا يمكن لأحد بدون تقدم علمي حسم الخلاف. فكيف يتسنى لمن هم في العصور القديمة فهم ومعرفة ذلك؟ , بل وكيف يتسنى للمعارضين وقتها التسليم بأن هذه المنطقة هي فعلا(أسفل) منطقة في الأرض , بدون وجود أي تقدم علمي يؤكد أو ينفي ذلك. فمن الطبيعي جدا للمفسرين أن يفهموا معاني اللغة ضمن إطارهم المعرفي والعلمي لذلك الوقت , وهنا يراعي الخالق نمو الفهم والعلم للمخلوق.

الاعتراض الخامس:

أن للآية قراءتين : على المعلوم (غَلبت) و على المجهول (غُلبت) . و بحسب اختلاف القراءة قد تعنى الروم و الفرس ، أو الروم و العرب . و آية مجهولة المعنى لا تكون نبأ غيبيا.

الجواب والتوضيح

أولا: لابد من معرفة شيء هام جدا , أن قراءة (غُلبت الروم) ثابتة ومتواترة , ومؤكدة تاريخيا بالعديد من الروايات. فلا مجال للشك فيها على الإطلاق. وبالتالي فالإعجاز فيها ثابت حتى لدى المعترض , ولكنه يخلطها مع القراءة الثانية للتشويش. والاختلاف لا يعني أن المعنى مجهول بل يعني أن فيه خلاف

ثانيا: المشكلة تكمن في التالي : (هل تعارض القراءة الثانية (غَلَبَت الروم) القراءة الأولى المعروفة؟)......والجواب قطعا لا , للآتي:

1- ضعف القراءة العلمي: أن القراءة الثانية (غَلبَت الروم) غير ثابتة وشاذة , ولم ترد في كتب القراءات أصلا , بل وردت في بعض كتب التفسير. ولا يصح أن تعارض قراءة شاذة القراءة المتواترة على الإطلاق. خاصة وأنها مدعومة تاريخيا بالعديد من روايات توضح سبب نزولها. فلا توجد قراءة من السبع قراءات أو العشر قراءات أو الأربعة عشر قراءة تقول:"غَلَبَتِ الرُّومُ"

يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى: " والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره الـم غُلِبَتِ الرّومُ بضم الغين, لإجماع الحجة من القرّاء عليه.".

ويقوم الإمام الزمخشري رحمه الله تعالى في تفسيره: " القراءة المشهورة الكثيرة " غلبت " بضم الغين . وسيغلبون بفتح الياء".

2- ضعف القراءة التاريخي: هذه القراءة الشاذة مخالفة للتاريخ أساسا , على عكس القراءة الأولى الثابتة والمتواترة التي تدعمها العديد من الروايات.

فمن المعلوم أن سورة الروم كلها مكية بلا خلاف , نقل ذلك الإمام الشوكاني في تفسيره : " هي ستون آية، قال القرطبي كلها مكية بلا خلاف وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: نزلت سورة الروم بمكة." .

فعلى قراءة (غلبت الروم) أي أنها نزلت لتخبر عن انتصار الروم , لكن الروم قد غلبت والمسلمون كانوا في المدينة , وليسوا في مكة بالإجماع , فلا يصح هذا المعنى تاريخيا.

فيتضح تماما مما سبق أن لا يصح أساسا الاحتجاج بمعارضة القراءة الثانية للقراءة الأولى. وبهذا سقط هذا الاحتجاج علميا وتاريخيا. وبالتالي فليست قراءنا يحتج به على المسلمين.

ومع ذلك فهناك رؤية أخرى للجمع بين القراءتين (برغم شذوذ الثانية) , فمن المعلوم أن الآيات من السورة قد تنزل مرتين , وفي مناسبتين.

فإذا صح ذلك , فمن المحتمل أن القراءة الثانية (للآية) نزلت مرة أخرى في غزوة بدر , عند اكتمال انتصار الروم على الفرس.

ففي <u>تفسير التحرير والتنوير</u> : " وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري : أن هذه السورة نزلت يوم بدر فتكون عنده مدنية . قال أبو سعيد : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين وفرحوا بذلك فنزلت (الم غلبت الروم) إلى قوله (بنصر الله) وكان يقرؤها (غلبت) بفتح اللام <u>وهذا قول لم يتابعه أحد</u> وأنه قرأ (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) بالبناء للنائب ونسب مثل هذه القراءة إلى علي وابن عباس وابن عمر . وتأولها أبو السعود في تفسيره آخذا من الكشاف بأنها إشارة إلى غلب المسلمين على الروم . قال أبو السعود : وغلبهم المسلمون في غزوة مؤتة سنة تسع ".

<u>وذكر القرطبي في تفسيره الشهير (الجامع لأحكام القرآن) حول ذلك ما يلي :</u>

" وقرأ أبو سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن قرة "غَلَبت الروم" بفتح الغين واللام. وتأويل ذلك أن الذي طرأ يوم بدر إنما كانت الروم

غلبت فعز ذلك على كفار قريش وسر بذلك المسلمون، فبشر الله تعالى عباده أنهم سيغلبون أيضا في بضع سنين؛ ذكر هذا التأويل أبو حاتم.".

وعليه فلا تعارض على الإطلاق بينهما على هذا المفهوم. بل يمكن بوضوح الجمع بينهما , وأصحاب هذا الرأي أرادوا به أن الإعجاز حدث مرتين لأنها نزلت مرتين, في الأولى وفي الثانية , , كما أوضح القرطبي رحمه الله تعالى.

نقول ذلك للتوفيق , ولكن الحق الأولى بالإتباع هو ذكرناه سابقا من ضعف هذه القراءة أصلا وعدم حجيتها على المسلم.

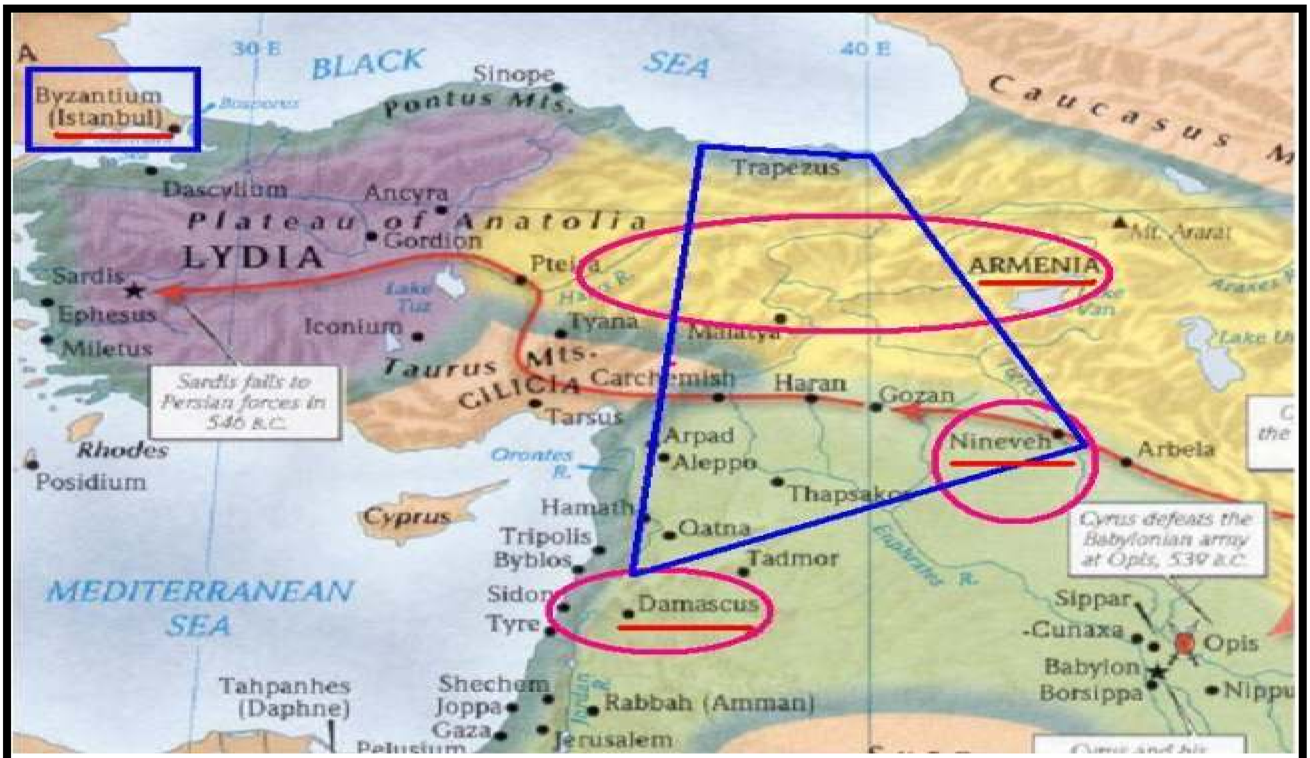
الاعتراض السادس:

من المعروف تاريخيا أن معركة القدس التي انتصر فيها الفرس على الروم كانت في العام 614م ما يوافق السنة الرابعة / الخامسة للبعثة. ومن المعروف أن الروم انتصروا نهائيا على الفرس في معركة هامة وحاسمة حيث تم عقد الصلح في العام 628م الموافق السنة السابعة/الثامنة للهجرة , وهو ما يوافق صلح الحديبية , حيث يذكر المؤرخون أن وصول خبر الانتصار إلى محمد في المدينة وقت صلح الحديبية. وعليه فلا يوجد إعجاز في النبوة القرآنية (في بضع سنين) , حيث معنى البضع هو دون العشر , لكن المدة بين معركة القدس إلى الانتصار النهائي (628-614=14) هي أكثر من ذلك بكثير , فلا يصح القول بوجود إعجاز و نبوة في سورة الروم.

الجواب والتوضيح

أولا: هناك أخطاء فظيعة ارتكبها المعترضون هنا , فأولا تم التركيز فقط على تاريخ معركة القدس وتاريخ آخر معركة حصلت بين الفرس والروم , ورضوخ الفرس لمعاهدة الصلح المذلة في العام 628م (أو 629م حسب بعض المصادر) , ولو كان لديهم إدراك لعلموا أن تقدم الجيش الروماني وقلب موازين المعركة من هزيمة في العام 622م إلى نصر نهائي في العام 628م , وصولا إلى حصار أهم مدن الإمبراطورية الفارسية نفسها (نينوى) وسقوطها , و الاقتراب من عاصمتهم (المدائن) لم يتم فجأة بين ليلة وضحاها , بل بالتأكيد سبقه انتصارات ومقدمات هامة بالضرورة العقلية والتاريخية والجغرافية (غلبة).

ثانيا: كيف سيتقدم الجيش الروماني إلى نينوى (Nineveh) ويسقطها ويحكم حصار الفرس قرب المدائن (370 كيلو شمال بغداد) دون المرور ببلاد أرمينيا وأذربيجان (ميديا) والانتصار فيهما , من المستحيل فعل ذلك (أنظر الخريطة أدنى).



المصدر: ملحق برنامج (Davar3) العالمي – Zaine Ridling , PhD, Access Foundation. Chicago, US

وهذا ما حصل فعلا , ففي العام 622م كانت جيوش الفرس تقترب باتجاه العاصمة الرومانية الشهيرة (القسطنطينية) , لكن القائد الجديد (هرقل) بعد استيلائه على الحكم فاجأ الجميع بحركة غير متوقعة , وتكتيكا عسكريا مذهلا, فقد ترك العاصمة مهددة من قبائل الآفار الشمالية (AVAR), واتجه القائد بالأسطول البحري عبر مياه البحر الأسود (Black sea) وابتدأ باختراق وسط الجيش الفارسي عبر أذربيجان ثم أرمينيا (ARMENIA). وحقق انتصارات هامة عامي 622/ 623 م .

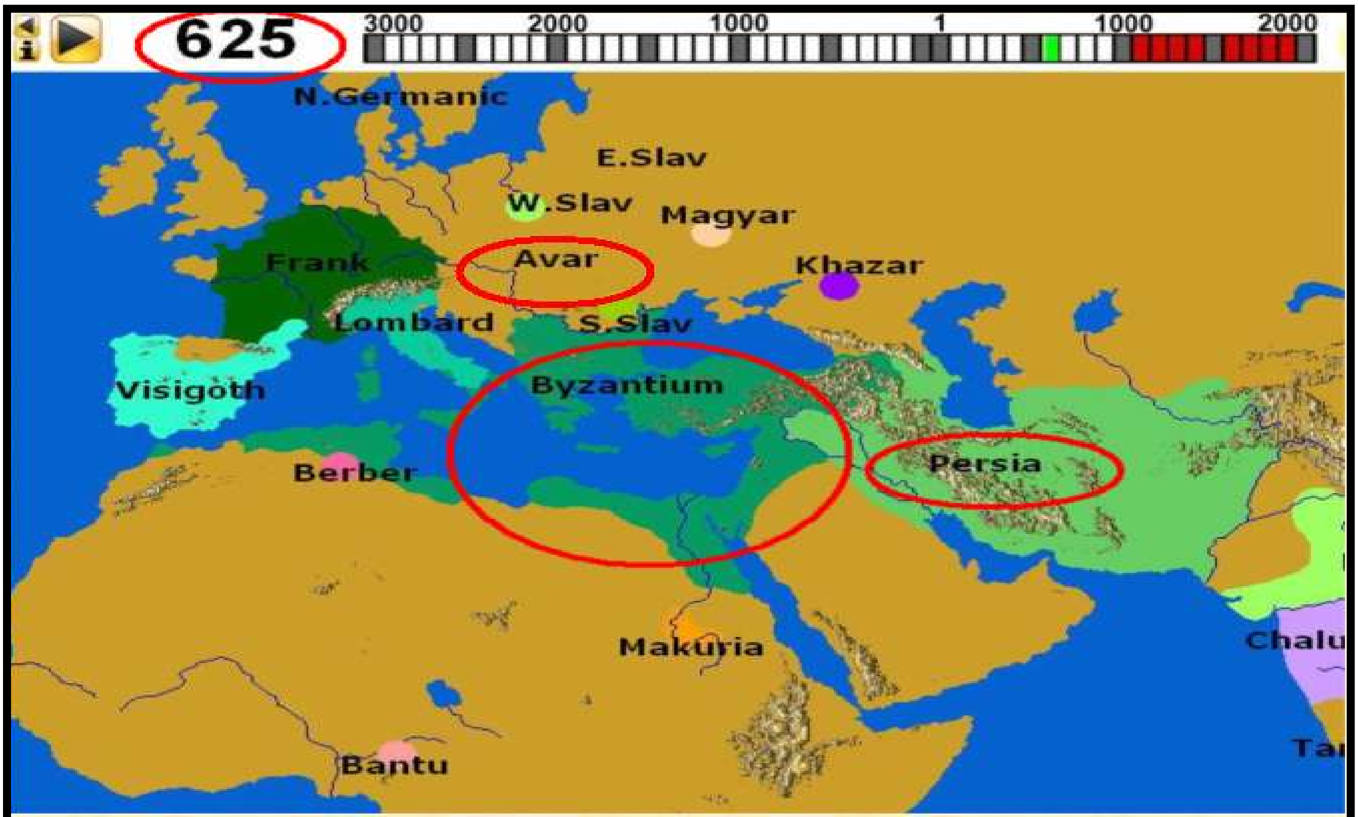
ثم واصل معاركه فحقق اختراقات هامة أخرى , فعادت بلاد الشام في 624م , ولم يأتي العام 625م إلا ومعظم بلاد الشام تحت سيطرته تماما , وبالتالي قطع التواصل الجغرافي بين الجيش الفارسي وقبائل الآفار الشمالية التي كانت تحاصر القسطنطينية فوقع معهم صلحا وزال الخطر عن العاصمة (626م).
وعليه فهرقل حرر آسيا الصغرى (ميديا) بالكامل واستعاد الشام قبل فك الحصار عن عاصمته الصامدة.

مكنته هذه الاختراقات الهامة أخيرا من إسقاط نينوى (Nineveh) في العام 627م , و لم يأتي العام 628م إلا وهرقل يقترب من العاصمة الفارسية (المدائن) , مما اضطر الفرس للانسحاب المفاجأ , وتوقيع صلح مهين مع هرقل , استرجع فيه الروم كافة مناطقهم خاصة في بلاد الشام ومصر.

من الواضح جدا أنه لا يمكن الحديث عن وصول الجيش الرومي إلى الانتصار الساحق والاقتراب من عاصمة الفرس (المدائن) , دون الحديث عن انتصارات ومناطق سابقة سقطت في أيديهم , فسقوط أرمينيا وأذربيجان وبلاد الشام وأخيرا نينوى بالتأكيد تم في الأعوام السابقة للانتصار الروماني الكبير , وقبل الوصول إلى عمق الأراضي الفارسية.

ثالثا: تذكر المراجع التاريخية انتصارات هامة للزعيم الروماني الجديد (هرقل) قبل وصوله إلى النصر الحاسم الكبير في عام 628م. في الأعوام 622م 623م و 624م حدثت انتصارات هامة لجيش هرقل , ففي العام 622/ 623م وأثناء الحملة على أذربيجان كانت القوات البيزنطية تدمر معابد النار في المدن الفارسية انتقاما لتدنيس الفرس للقدس . ولا يمكن تجاهل سقوط بلاد الشام (سوريا) في العام 624م , وسقوط سوريا وبلاد الشام في العام 624م سبقه ولا شك تحقيق انتصارات هامة واختراقا للجيش الفارسي في أرمينيا وأذربيجان في العام 622/ 623م.

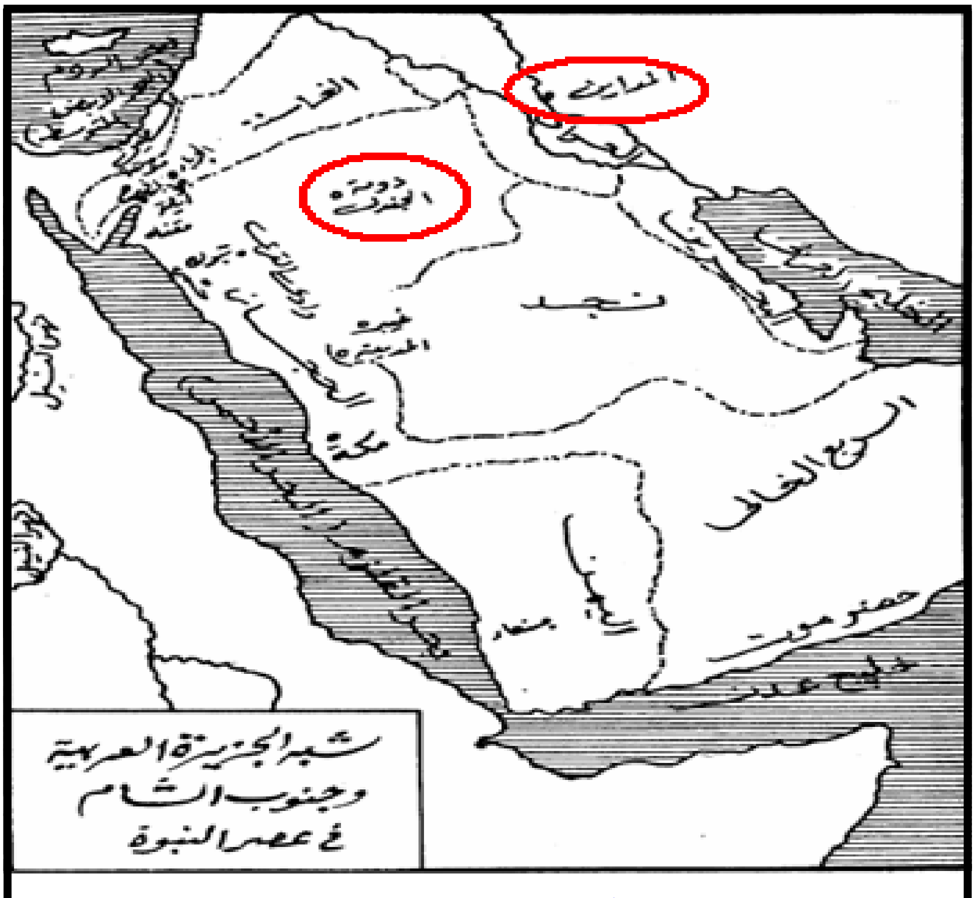
ولم يأت العام 625م إلا ومعظم بلاد الشام تحت يدي هرقل وجيشه البيزنطي , ثم استولى بسهولة على بقية مناطق الشام (الغساسنة) وجهز جيشه بدأ من العام 626م نحو نينوى , فسقطت تماما في العام 627م .



المصدر: الأطلس التاريخي الشهير (Atlas of World History)

في الأعلى خريطة تاريخية من الأطلس الشهير(Atlas of World History) توضح مناطق نفوذ الإمبراطورية البيزنطية عام 625م , وانحدار الإمبراطورية الفارسية بعد فشل غزوهم لبيزنطة (لاحظ عودة الشام ومصر وقبلهما آسيا الصغرى " تركيا").

هذا متوافق مع التاريخ الإسلامي كذلك , فغزوة دومة الجندل في السنة الخامسة للهجرة (626م) , بين المسلمين وأتباع الروم . فملك دومة الجندل قال عنه المسعودي في التنبيه والإشراف : " كان يدين بالنصرانية , وهو في طاعة هرقل ملك الروم". وكذلك سرية زيد بن حارثة إلى حسمي , وسرية عبد الرحمن بن عوف. فالشام فتحت مبكرا بعد أذربيجان وأرمينيا. فلا يتصور أبدا سقوط الشام بيد هرقل عام 624م دون عبور الأراضي الواقعة من ساحل البحر الأسود حيث بدأ هرقل مسيرته الظافرة حتى الشام (انظر الخريطة).



المصدر: " المسلمون والروم فى عصر النبوة" ص 148- د/ عبد الرحمن احمد سالم

فتحقيق هرقل لانتصارات فى عام 622 و 623م ثابت تاريخيا ومنطقيا وجغرافيا.

والنبوءة القرآنية لا تزال تحافظ على صدقها بكل وضوح (623- 614= 9) فتسع سنوات تقع ضمن جملة (في بضع سنين) ودون العشر, وهذا ما تؤكده الروايات التاريخية في كتب التفسير عن الرهان , وزيادة المدة بين أبو بكر رضي الله تعالى عنه وبين الوثنيين من قريش إلى تسع سنوات. ووصول خبر الانتصار إلى المدينة المنورة يوم بدر 624م (السنة الثانية للهجرة) عن سقوط بلاد الشام واسترجاع الروم لها.

فلا يمكن لعاقل أن يتصور أن الجيش الرومي قام بالطيران من العاصمة (القسطنطينية) المحاصرة في عام 622م , ثم قام بالطيران عبر البحر الأسود وأرمينيا وأذربيجان إلى حدود بلاد الشام وحررها في العام 624م. ثم واصل طيرانه فسقطت نينوى في 627م وهي في عمق الأراضي الفارسية قرب مدينة الموصل العراقية حاليا. هذا هو الهراء الذي وقع فيه المعترضون بتركيزهم فقط على عام 628م وهو عام تحقيق الانتصار النهائي وتوقيع المعاهدة , وتم تجاهل كامل الأحداث والانتصارات الهامة قبل ذلك.

*** تذكر الموسوعة البريطانية (اشترك في تأليفها أكثر من خمسمائة عالم) تلك الأحداث الهامة بوضوح تاريخي فتقول- تحت مادة " الإمبراطورية البيزنطية"- :**

A brief summary of the campaign unfortunately gives no idea of the difficulties Heraclius encountered as he liberated Asia Minor (622); fought in Armenia with allies found among the Christian Caucasian peoples, the Lazi, the Abasgi, and the Iberians (624); and struggled in far-distant Lazica while Constantinople withstood a combined siege of Avars and Persians (626). An alliance with the Khazars, a Turkic people from north of the Caucasus, proved of material assistance in those years and of lasting import in Byzantine diplomacy. Heraclius finally destroyed the main Persian host at Nineveh in 627 and, after occupying Dastagird in 628, savoured the full flavour of triumph when his enemy, Khosrow, was deposed and murdered.

الترجمة :

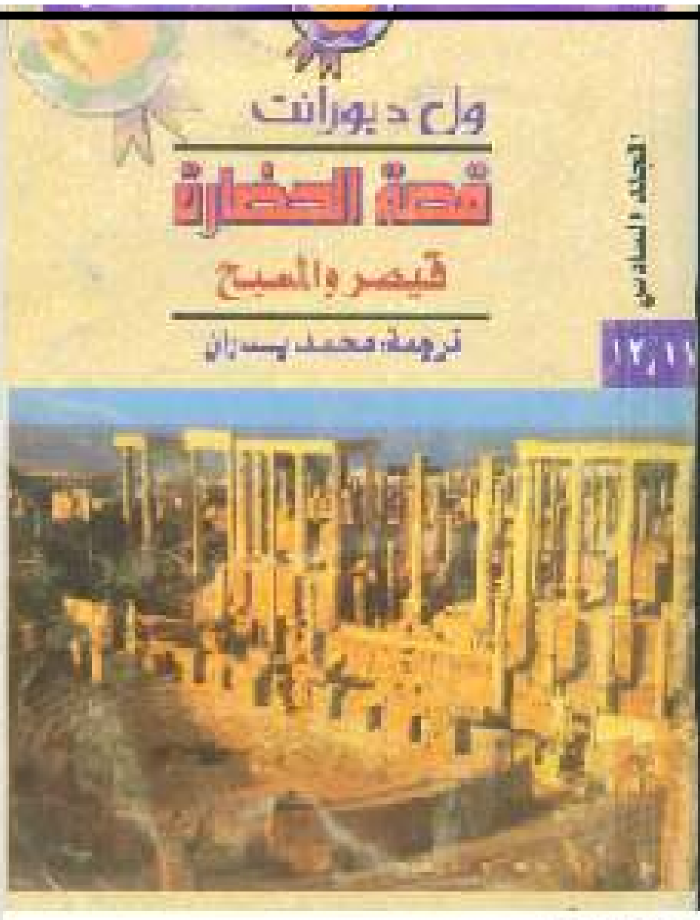
" إن تلخيصا للحملة لا يعطي فكرة عن الصعوبات التي واجهها هرقل عندما حرر آسيا الصغرى (عام 622م) , لقد قاتل في أرمينيا مع الحلفاء الذين وجد معظمهم قوقازيين مسيحيين , الازى , والأباسجي , والأيبيريون (624م) , وشق طريقه في اللاذقية , بعيدا جدا عن القسطنطينية , التي قاومت حصار الآفار والفرس في 626م , تحالف مع الخرز , وهم شعوب تركية من شمال القوقاز. تأكد أن المساعدات المادية في تلك السنوات كانت لها أهميتها في الدبلوماسية البيزنطية. وأخيرا حطم هرقل الجيش الفارسي الرئيسي في نينوى 627م. وبعد إحْتِلال Dastagird في 628م ، ذاقَ هرقل النكهة الكاملة للنصر عندما كان عدوه (كسرى) قد خُلِعَ وقُتِلَ. "

فكل هذه الأحداث الهامة هي التي مكنت هرقل بعد ذلك من الاقتراب من محاصرة العاصمة الفارسية لا يمكن تجاوزها على الإطلاق , فهي التي هيئت للانتصار الكبير , أو على حد تعبير الموسوعة البريطانية : " ذاقَ هرقل النكهة الكاملة للنصر".

وهذا يتوافق تماما مع المدلول اللغوي لكلمة (الغلبة) في القرآن الكريم كما شرحنا سابقا. لاحظ أن الموسوعة العالمية تتحدث عن تحرير آسيا الصغرى عام 622م.

**أما المؤرخ العالمي " وول ديورانت " صاحب أشهر عمل تاريخي عالمي في العصر الحديث فيقول يصف فيها تلك الأحداث بدقة رائعة:

" ولبث هرقل عشر سنين ينشئ جيشاً جديداً ودولة جديدة من أنقاض الجيش القديم والدولة القديمة. فلما تم له ذلك لم يحاول عبور البوسفور إلى خلقيدون بل تجنب ذلك العمل الكثير النفقة والمشقة، وأبحر بأسطوله إلى البحر الأسود ثم اخترق أرمينية وهاجم بلاد الفرس من خلفها، ودمر كلورمية Clorumia مسقط رأس زرادشت، كما ضرب كسرى من قبل مدينة أورشليم، وأطفأ نارها المقدسة الخالدة (624). وسير إليه كسرى الجيوش يتلو بعضها بعضاً، ولكن هرقل هزمها جميعاً، ولما تقدم اليونان فر كسرى إلى طيسفون. وآلم قواده ما كان يوجهه إليهم من إهانات فانضموا إلى النبلاء وخلعوه، ثم سجنوه ولم يطعموه إلا الخبز القفار والماء، وذبحوا ثمانية عشر من أبنائه أمام عينيه، وانتهى أمره بأن قتله ابن من أبنائه يدعى شيروى (628). "



قصره بدستجرد (على
بين الفن والحب. وجم
عاصمته الجديدة أعظم
لشيرين أجمل زوجاته ا
إنها امرأة مسيحية، وادع
كان هذا أو لم يكن فقد
كثيراً من الكنائس والأدي
أفاء عليها من الأسلاب
وترفه، وفنه، وتسامحه ا
على بلاد اليونان والرو
الإسكندر أخيراً على ف
مزلون، وسلاميس، وبلاتيه، وزريبة.

ولم يكن باقياً للإمبراطورية البيزنطية إلا عدد قليل من الثغور الأسيوية وقليل من أرض إيطاليا، وأفريقية، وبلاد اليونان، وأسطول لم يهزم بعد، وعاصمة محاصرة جن جنونها من الرعب واليأس. ولبث هرقل عشر سنين ينشئ جيشاً جديداً ودولة جديدة من أنقاض الجيش القديم والدولة القديمة. فلما تم له ذلك لم يحاول عبور البسفور إلى خلقيدون بل تجنب ذلك العمل الكثير النفقة والمشقة، وأبحر بأسطوله إلى البحر الأسود ثم اخترق أرمينية وهاجم بلاد الفرس من خلفها، ودمر كلورومية Clorumia مسقط رأس زرادشت كما ضرب كسرى من قبل مدينة أورشليم، وأطفأ نارها المقدسة الخالدة (٦٢٤). وسير إليه كسرى الجيوش يتلو بعضها بعضاً، ولكن هرقل هزمها جميعاً، ولما تقدم اليونان فر كسرى إلى طيسفون. وآلم قواده ما كان يوجهه إليهم من إهانات فانضموا إلى النبلاء، وخلعوه، ثم سجنوه ولم يطعموه إلا الخبز القفار والماء، وذبحوا ثمانية عشر من أبنائه أمام عينيه، وانتهى أمره بأن قتله ابن آخر أبنائه يدعى شيروى (٦٢٨).

رابعا: أن العام 624م كان المسلمون يخوضون فيه معركة بدر مع كفار قريش وينتصرون عليها , ولاحظ أن العام 624م وصل فيه الخبر إليهم , وبأخذ الاعتبار لنقل الأخبار في ذلك الوقت الذي قد يستغرق شهورا فإن العام 624م ليس هو المقصود , بل العام الذي قبله بلا شك.

لذلك نقول بكل ثقة أن عامي 622م- 623م كانا هما عامي تحقيق الغلبة للروم على الفرس , وهما العامان اللذان بدأ فيهما الجيش البيزنطي بتحقيق أولى بشائر انتصاراته العسكرية. ثبت هذا تاريخيا ومنطقيا وجغرافيا.

خامسا: الخطأ الكبير الثاني الذي وقع فيه المعترضون هو الخلط بين الروايات التاريخية , بهدف إرباك القارئ العادي وشل قدرته على ترتيب الأحداث تاريخيا , فخلطوا خبر وصول غلبة الروم في معركة بدر 624م مع الخبر الثاني في صلح الحديبية 628م (السنة السابعة للهجرة) , وخلطوا نص القراءة الشاذة بنص القراءة المتواترة , وخلطوا مكان معارك البحر الميت بمعركة القدس.

وكتابة التاريخ (خاصة القديم) لها عيوبها , فالمؤرخ قد ينسي ويخلط ويتوهم ويخطئ . لا نقول ذلك تشكيكا بالتاريخ وتمهيدا لانتصار للآية الكريمة. بل هذه هي طبيعة التاريخ. فالقارئ الذكي والمحقق الفاهم يقرأ ويرجح بين مختلف الروايات , لا أن يخلط التاريخ كما يفعل المعترضون هنا.

فالخبر الذي وصل إلى المدينة يوم بدر كان في العام 624م عن تحقيق انتصارات هامة للروم في الأعوام 622م و 623م , بعد سقوط أرمينيا وأذربيجان وبلاد الشام , كما شرحنا سابقا.

والخبر الثاني الذي وصل إلى المدينة عام 628م وقت صلح الحديبية كان خبر الانتصار النهائي للروم وتوقيع معاهدة الصلح , كما هو معروف أيضا.

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

" وروي أن إيقاع الروم بالفرس كان يوم بدر؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري حديث الترمذي، وروي أن ذلك كان يوم الحديبية، وأن الخبر وصل يوم بيعة الرضوان؛ قاله عكرمة وقتادة. قال ابن عطية: وفي كلا اليومين كان نصر من الله للمؤمنين ".

فلا يوجد تعارض , صحيح قد يتوهم بعض المؤرخين وجود تعارض , فيفهم أن نقل الخبر في وقت الحديبية هو للمرة الأولى. ويظنه متعارضا مع نقل الخبر يوم بدر. لكن هذا لا يصح , وليس ضروريا , وهو رأي اجتهادي , ويمكن الجمع بينهما بسهولة ويسر , خاصة أن الوقائع التاريخية والجغرافية والمنطقية تؤيد ذلك بوضوح.

أما بالنسبة للقراءتين فقد أوضحنا أن أحدهما ثابتة والأخرى شاذة , مع إمكانية الجمع بيسر بينهما. فلا تعارض مطلقا , سوى من تعمد خلط الحديث عنهما , دون إيضاح الحقائق للتعمية.

سادسا: خطأ آخر وقع فيه المعترض , وهو ظنه أن القرآن الكريم تحدث عن نصر حاسم ونهائي , فلذلك عمدوا إلى الإشارة إلى عام 628م عام تتويج الانتصار الروماني وانتهاء المعارك بالصلح. لكن الصحيح هو أن تعبير القرآن الكريم واضح وهو (الغلبة) وقد أشرنا في الجواب على الاعتراض الأول إلى الفارق بين (النصر) و (الغلبة) كما استخدمت في النصوص القرآنية.

سابعا: بالنسبة لتفسير قوله تعالى: " وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ " فله تفسيران كما جاء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي رحمه الله تعالى:

" قال النحاس: وقول آخر وهو أولى - أن فرحهم إنما كان لإنجاز وعد الله تعالى؛ إذ كان فيه دليل على النبوة لأنه أخبر تبارك وتعالى بما يكون في بضع سنين فكان فيه. قال ابن عطية: ويشبه أن يعلل ذلك بما يقتضيه النظر من محبة أن يغلب العدو الأصغر لأنه أيسر مؤونة، ومتى غلب الأكبر كثر الخوف منه؛ فتأمل هذا المعنى، مع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجاه من ظهور دينه وشرع الله الذي بعثه به وغلبته على الأمم، وإرادة كفار مكة أن يرميه الله بملك يستأصله ويريحهم منه. وقيل: سرورهم إنما كان بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين؛ لأن جبريل أخبر بذلك النبي عليه السلام يوم بدر؛ حكاه القشيري.". انتهى.

قلت: والرأي الأخير هو الأرجح , إذ لا يمكن تصور أن المقصود بقوله تعالى " ينصر من يشاء " هو تحقق النبوءات .

ثامنا: حتى لو حسبنا تاريخ الأحداث بدقة أكبر , فالإعجاز أيضا ثابت لا محالة:

فمعركة القدس التي تحدث عنها المعترض حدثت في 614/5/5م ونزلت قبلها بقليل آية الروم (بغض النظر عن الزمن المستغرق الزمن لوصول خبر معارك في الشام إلى مكة)

ومعركة بدر الكبرى حدثت في 624/3/31م (بغض النظر عن الزمن المستغرق لوصول خبر معارك في الشام إلى المدينة)

و ما بينهما بالتحديد هو : (9 سنوات و 10 أشهر و 20 يوما) بالتمام.

لذلك فالانتصار قد وقع دون العشر سنوات (بضع سنين) حتى لو تابعنا المعترض على هواه. ,,,,,,,,, والحمد لله رب العالمين

==

☼ ☼

==

الاعتراض السابع:

أن انتصار الروم لا يعدوا أن يكون أمرا عسكريا متوقعا , ففي هذه الأثناء ظَهرَ شكّ متبادلَ بين الملك كسرى الثاني وقائد جيشه شهرباراز. وقام الوكلاءُ البيزنطيون بتسريب رسائل مزيفة للجنرال شهراباراز تظهر بأنّ الملك كسرى الثاني كَانَ يُخطّطُ لإعدامه. فخاف الجنرالَ شهرباراز على حياته وبَقي محايداً أثناء هذه الفترةِ الحرجةِ. وخسرت بلاد فارس بذلك خدماتَ إحدى أكبر جيوشِها وإحدى أفضل جنرالاتِها. إضافةً إلى ذلك، توفي بشكل مفاجئ شاهين وسباهبود العظيم قادة الجيش الساساني والذي كان تحت سيطرته بلاد القوقاز وبلاد الأناضول. وهذا ما رَجّحَ كفّة الميزان لمصلحة البيزنطيين. فانتصار الروم كان متوقعا 100% وهذا تحليل عسكري وقراءة للحدث , وليس نبوءة أبدا.

الجواب والتوضيح

أولا: يعود المعترض إلى سياسة الخلط دائما وأبدا. فهي الطريقة الوحيدة التي توفر له الغطاء المناسب لإظهار اعتراضات على الآية الكريمة. والخلط هذه المرة استخدم له كلمة (في هذه الأثناء) التي جعلنا تحتها خطًا أحمر. فالقارئ يظن أن المعترض يتحدث عن عام 614م عند نزول الآية الكريمة التي تحمل نبوءة غلبة الروم.

والحقيقة أن المعترض يتحدث عن الأسباب التي أدت إلى تحقيق هرقل لانتصارات متتالية ابتداء من الأعوام 622م وحتى عام 627م. وعن رؤية المؤرخين لهذه الأسباب. لكن وقت نزول الآية الكريمة عام 614م كانت الأوضاع مختلفة تماما.

فالحرب الفارسية الرومانية (البيزنطية) ابتدأت حوالي 603م , كانت الغلبة فيها للفرس , فسقطت الشام ودمشق 613م , ثم سقطت فلسطين والقدس 614م, ثم سقطت مصر618م , وتواصل زحف الفرس على معظم الأراضي البيزنطية , حتى اقتربوا من العاصمة نفسها , فتحالفوا مع قبائل الآفاريين من الذين حاصروها الشمال (622م).

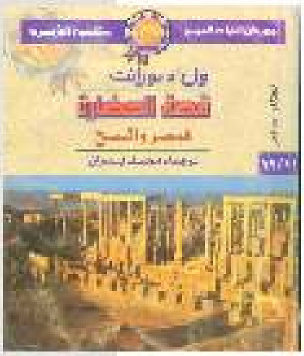
فـي هـذه الأثنـاء كانـت الأوضـاع الداخليـة الرومانيـة تعـاني مـن تـدهور خطيـر , فـالإمبراطور الجديـد (فوكـاس) فـشل فـي مقاومـة الجـيش الفارسـي. وراح يقتـل النـاس والمعارضين لـه. وأرسـل النـاس لـوالي قرطاجـة أن ينقذهم من يـد فوكـاس. فأرسل لـهم ابنه الشاب (هرقل) الذي وصل في عام 622م إلى القسطنطينية , فقتل (فوكاس) واستولى على الحكم. لكنـه رأى أن الوضـع قـاتم فحـاول الـهرب والعـودة إلـى أفريقيـا , لكـن أسـقف الكنيـسة أعطـاه الأمـوال ووعـده بالبركـة , فقـرر حينـها هرقل أن يستمر وهو غيـر متأكـد مـن النـصر علـى الإطـلاق ثـم ابتـدأ يـنظم حركـة المقاومة عام 622م.

فمن الواضح أن جميع الدلائل كانت تشير إلى تواصل تحقيق الفرس للانتصارات , فلـم يكـن احـد يتوقـع فـي العـام 614م تغيـر وانقـلاب المعركـة لـصالح الـروم أبـدا. فالأراضـي الروميـة كانـت تـسقط بـالتوالي حتـى العـام 622م. حتـى توقـع الجميـع سقوط الإمبراطورية البيزنطية أمام جحافل الفرس, بل وحاول هرقل نفسه الهرب.

ـ ٢٩٥ ـ

وبلغ كسرى أبرويز (الظافر) درجة من السلطان لم يبلغها ملك آخر من ملوك الفرس منذ أيام خشيار شاى، ومهد السبيل لسقوط دولته؛ ذلك أنه لما قتل فوقاس موريس وجلس مكانه على العرش أعلن أبرويز الحرب على المغتصب (٦٠٣) انتقاما لصديقه؛ ولكن الواقع أن الحرب لم تكن إلا تجديدا للنزاع القديم. وكانت الدولة البيزنطية مزقها الشقاق والتحزب، فلم تجد جيوش الفرس صعوبة فى الاستيلاء على دارا، وأميدا، والرها، وهيرابوليس، وحلب، وأباميا، ودمشق (٦٠٥ - ٦١٣). وزاد هذا النصر من حماسه أبرويز فأعلن الحرب الدينية على المسيحيين، وانضم ٢٦,٠٠٠ من اليهود إلى جيشه، ونهبت جيوشه المتحدة فى عام ٦١٤ أورشليم، وقتلت ٩٠,٠٠٠ من المسيحيين[٤٧]، وأحرقت كثيراً من كنائسها ومن بينها كنيسة الضريح المقدس، وأخذ الصليب الحق، وهو أعز أثر على المسيحيين، إلى بلاد الفرس. وأرسل أبرويز إلى هرقل Heraclius الإمبراطور الجديد رسالة دينية قال فيها: «من كسرى أعظم الآلهة وسيد الأرض كلها إلى هرقل عبده الغبى الذليل: إنك تقول إنك تعتمد على إلهك، فلم إذن لم ينقذ أورشليم من يدى؟»[٤٨]. واستولى جيش فارس على الإسكندرية فى عام ٦١٦، ولم يحل عام ٦١٩ حتى دخلت مصر كلها فى حوزة ملك الملوك، وهو مالم يحدث لها منذ أيام دارا الثانى. وفى هذه الأثناء كان جيش فارسى آخر يجتاح آسيه الصغرى ويستولى على خلقيدون (٦١٧)؛ ولبثت تلك المدينة فى أيدى الفرس عشر سنين وهى التى لم يكن يفصلها عن القسطنطينية إلا مضيق البسفور. وكان أبرويز فى هذه السنين العشر يدمر الكنائس، وينقل ما فيها من الآثار الفنية والكنوز إلى بلاد الفرس ويفرض على آسية الغربية من الضرائب الفادحة ما تضب منه معينها وما أعجزها عن مقاومة غزو العرب الذى لم يكن بينها وبينه وقتئذ إلا نحو جيل من الزمان.

ثم ترك كسرى تصريف الحرب لقواده، وعاد ليتقلب فى اللهو والترف فى



وجميع الأمور التي تحدث عنها المعترض من تسريب الرسائل المزيفة , وموت بعض قادة الجيش الفارسي , كل هذه الأمور حدثت بعد العام 622م , ولم تحدث على الإطلاق قبل ذلك. بينما الآية القرآنية الكريمة نزلت في عام 614م.

ثانيا: انظر إلى اعتراف المؤرخ الكبير (ادوارد جيبون) فى كتابه (سقوط واضمحلال الإمبراطورية الرومانية) حيث يقول معلقا على مدى غرابة نبوءة القرآن الكريم:

> **"At the time when this prediction is said to have been delivered, no prophecy could be more distant from its accomplishment, since the first twelve years of Heraclius announced the approaching dissolution of the empire "**

الترجمة:

> **"في ذلك الوقت عندما قيلت هذه النبوءة , لم يكن شيء أبعد عن القياس من تحققها,لان السنين الاثنى عشرة الأولى من حكم هرقل كانت تعلن موت الإمبراطورية الرومانية ونهايتها القريبة "**

وصدق الله سبحانه :

" وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ"- النمل: 14

" يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"- التوبة: 32.

للتواصل مع المؤلف

Almoliky76@yahoo.com